# الإسلام
# ومشكلة التغذية

obeikandl.com

obeikandl.com

# تمهيد

لقد مات في أنحاء العالم عشرات الملايين من البشر بسبب الجوع أو الأمراض الناتجة عن سوء التغذية . ويعيش أكثر من مليار شخص في حالة الفقر المدقع ، ويقطنون حول المدن الكبرى وفي المناطق الريفية ، ولا يتجاوز دخلهم سبعين دولاراً . وينتشرون في أنحاء العالم الثالث ، وثلاثة أرباعهم في آسيا[١] .

وفي بنغلاديش يعيش أكثر من ثمانين مليوناً من البشر ، ولا تحصل أكثر من نصف العائلات على الحد الأدنى للبقاء وهو /١٥٠٠/ حريرة للفرد في اليوم ، ويعاني ثلثا السكان من نقص البروتين والفيتامينات[٢] .

إلا أنه لا توجد في الحقيقة بلدان جائعة بأسرها حتى في العالم الثالث ، بل توجد طبقات واسعة من السكان فقيرة ، لا تستطيع إنتاج ولا شراء ما يكفي لسد حاجاتها الغذائية ، ويستأثر نحو خمس السكان بأكثر من نصف الدخل القومي ، ولا يحصل ٢٠٪ من الفقراء على غير الفتات ، أي نحو ٥٪ من الدخل . وفي الهند يتراوح النصيب اليومي من

---

(١) كيف يموت النصف الآخر من العالم ـ سوزان جورج ص : ١٩ ، ٢٣ـ٢٤ ، ٤٠ـ٤١ ، مجلة Undp الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ـ تشرين الثاني ١٩٩٤ ص : ٦ .

(٢) صناعة الجوع/ ترجمة أحمد حسان ، ص : ٣٦ .

الحريرات بين ٩٤٠ و٣١٥٠ ، وفي البرازيل لا يحصل الأفراد الأشد فقراً على الطعام الذي يولد ١٢٤٠ حريرة في اليوم ، بينما يبتلع الأغنياء ما يولد ٤٢٩٠ حريرة يومياً[١] .

وتوجد هذه المعاناة في البلدان المتقدمة أيضاً ، فقد أظهر مكتب الإحصاء الأمريكي عام ١٩٧٦ أن ١٢٪ من الأمريكيين أي ٢٦ مليون شخص يعيشون في حالة فقر ، وكثير منهم يعانون من نقص غذائي خطير . ولكن الفرق بين العالمين هو أن نقص الغذاء لا يصيب إلا جزءاً يسيراً من السكان الأمريكيين ، بينما يصيب نصف السكان أو أكثر في البلدان المتخلفة ، ويشكل المعدمون ما بين ٤٠ـ٦٠٪ من السكان في عدد منها[٢] .

والأطفال هم أكثر تأثراً بهذه المشكلة من الكبار ، إذ مات عام ١٩٧٩ ما يزيد على ١٢ مليون طفل دون الخامسة بسبب الجوع ، ويعاني نحو خمس الأطفال في العالم كله من نقص التغذية ، وفي أمريكا الوسطى ومنطقة الكاريبي تبلغ نسبة الأطفال سيئي التغذية ٨٠٪ في بعض البلدان[٣] .

والأضرار الناتجة عن سوء التغذية هي بالغة الخطورة ، إذ يموت نحو نصف الأطفال من مرض ناتج على سوء التغذية قبل سن الخامسة بسبب التهابات الجهاز الهضمي ، أو الحصبة التي يزيد معدل الوفيات بها في النيجر مثلاً عن البلدان الغربية ألف مرة . وتؤكد الأمم المتحدة أن إنساناً من كل ثمانية يموت من الجوع . وأن نحو أربعة من كل ثمانية

---

(١) كيف يموت النصف الآخر ، ص : ٥١ .
(٢) صناعة الجوع . ص : ٤١١ .
(٣) كيف يموت النصف الآخر من العالم . ص : ٣٥ـ٣٩ ، صناعة الجوع : ٢٢ .

يعانون من سوء التغذية ، وأن واحداً من كل خمسة أشخاص يعاني من فقر الدم الناتج عن نقص الحديد .

ويعاني نحو ٣٠٠ مليون فرد من مرض تضخم الغدة الدرقية المستوطن في عدة مناطق من إفريقية ، وهذا المرض قد يؤدي إلى البله أو العته . ويعد نحو ثلاثة ملايين من العالم الثالث غير منتجين لهذا السبب . ويصاب الذين تشكل الذرة غذاءهم الأساسي بالبلاغرا ، وهي قد تسبب الجنون إذا لم تعالج . ويصاب الذين يشكل الرز المقشور صناعياً غذاءهم الأساسي بمرض البيري بيري . ويصاب ملايين من البشر وخاصة في الساحل الإفريقي وأندونيسيا والهند بالعمى الناشىء عن نقص فيتامين آ . ولا تزال الملاريا والبلهارسيا والحمى الصفراء وأمراض إنتانية أخرى تصيب الفقراء الجائعين .

والأفراد الذين يعانون من الجوع هم بصورة عامة أقل نمواً جسمياً وعقلياً من الذين يأكلون كفايتهم ، وهم ضعاف المقاومة للأمراض والطفيليات التي ترتفع بكثرة في البلدان الفقيرة . ويموت ٧٠٪ من الناس في العالم الثالث من أمراض طفيلية وإنتانية . ويزيد خطر موت أطفالهم قبل إتمام السنة الأولى من العمر خمسة عشر ضعفاً عن خطر موت أطفال الدول المتقدمة . ويظهر هؤلاء الأطفال ببطن منتفخ وجسم جاف بسبب نقص البروتينات في الغذاء ، ويعانون من الخمول .

وقد أثبت علماء التغذية بشكل قاطع أن الأطفال الذين تنقصهم الحريرات والبروتينات اللازمة في الأسابيع الأخيرة من الحمل والأشهر الأولى بعد الولادة سيظلون ناقصين عقلياً ؛ لأن خلايا الدماغ لا تستطيع في تلك المدة أن تتكاثر بسبب نقص الغذاء ، ولا يتغير حال هؤلاء الأطفال حتى ولو حصلوا على الغذاء اللازم فيما بعد .

وقد أظهرت الدراسة أنه من بين ٥٠٠ طفل من الطبقات المتوسطة يوجد ١٪ يقل ذكاؤهم عن ٨٠ درجة ، ولكن يوجد بين مثل هذا العدد من الأطفال الفقراء ٦٢٪ يقل ذكاؤهم عن هذا المستوى . وإذا عاش هؤلاء إلى سن البلوغ فإنهم لا يستطيعون القيام بأي عمل منتج ، وسينتقل هذا التخلف إلى أولادهم ، ويستمر إلى أمد بعيد[١] .

وقد تركز انتباه العالم على مشكلة الجوع حين عقد المؤتمر العالمي للتغذية في روما في تشرين الثاني عام ١٩٧٤ ، ولكن هذا المؤتمر أخفق كما أخفق المؤتمران السابقان له في حل هذه المشكلة ، وكذلك أخفق المؤتمر الذي عقد في كوبنهاغن بالدانمرك في آذار ١٩٩٥ لمعالجة الفقر والحد من انتشاره ؛ لأن المؤتمرين كانوا يهدفون إلى زيادة ثروات الأغنياء أكثر من إتاحة العيش الكريم للفقراء ، ولأن الحلول المقترحة كانت تركز على الإنتاج بدلاً من أن تركز على التوزيع المنصف للغذاء . ولم تختلف هذه الحلول عن التدابير المقترحة منذ أكثر من خمسين سنة حتى الآن ، ولم يؤد أي منها إلى حل المشكلة ولو جزئياً ، بل يبدو أن هذه الأزمة تزداد خطورة[٢] .

وإذا أردنا حل هذه المشكلة الخطيرة فعلينا أن نبحث عن أسباب حدوثها ، ثم نبين وسائل حلها وأحكام الإسلام التي تمنع وجودها وتؤدي إلى القضاء عليها .

* * *

---

(١) كيف يموت النصف الآخر من العالم ، ص : ٣٥ـ٣٩ ، صناعة الجوع : ٢٢ .
(٢) كيف يموت النصف الآخر من العالم ، ص : ١٣ـ١٤ .

# الفصل الأول

# أسباب الجوع

هناك من يعد الجوع نتيجة لتقلبات الطقس وسوء الأحوال الجوية ، وما يقع من فيضانات وعواصف وجفاف وكوارث وآفات .

وهناك من يعد الجوع نتيجة لزيادة السكان ، وعلى الأخص سكان العالم الثالث ، وعدم كفاية الأرض الصالحة للزراعة لإطعام الأعداد المتزايدة من البشر .

وهناك من يعد الجوع نتيجة لكسل الفقراء ، وعدم قيامهم بإنتاج ما يكفيهم من الغذاء .

فهل هذه هي الأسباب الحقيقية لمشكلة الجوع ، أم توجد أسباب أخرى لها؟

هذا ما نحاول بحثه في هذا الفصل وما يليه :

## أولاً ـ الأسباب الطبيعية :

يرى كثيرون أنه حصلت مجاعات دورية طوال تاريخ البشرية ، وفي القرن السابع عشر كانت أوربة تعاني من نقص الأغذية كل ثلاث سنوات ، ومن المجاعة كل عشر سنوات[1] .

---

(١) كيف يموت النصف الآخر من العالم ص : ٢٣ ، ٥٦ .

ولكن من الواضح أن المناخ ليس العامل الوحيد الذي يؤثر في حياتنا وغذائنا ، لأن التنظيم الاجتماعي له أثره الكبير في تاريخ الجوع . وقد أنتج العلماء أنواعاً من الحبوب تتناسب مع أوقات مشمسة قصيرة ، وأخرى تتحمل الجفاف الطويل . وإذا كانت الأعاصير تتلف كثيراً من المحاصيل ، فإن إعصاراً مدمراً يضرب ولاية فلوريدا الأمريكية لا تكون له نتائج إعصار يماثله في القوة يضرب باكستان ، وإن الجفاف الذي يصيب جنوب غربي الولايات المتحدة لا يسبب كارثة كالذي يصيب ساحل إفريقية الغربي .

ويمكن للكوارث أن تزيد من خطورة بؤس البشر ، ولكنها ليست سبباً لهذا البؤس ؛ لأنه إذا كان النظام الاقتصادي والاجتماعي في بلد ما سريع العطب ، فيمكن أن يصيبه الجوع من دون كارثة طبيعية . ويمكن لنقص خفيف في إنتاج الحبوب أن يؤدي إلى الجوع إذا صاحبه نقص في الاستثمار لموسم السنة التالية ، وبالتالي نقص في الاستخدام والدخل للعمال الريفيين ، وتخزين ومضاربات من تجار الحبوب ، وارتفاع أسعار الأغذية إلى حد يجعل الفقراء عاجزين عن شرائها[1] .

ويعتقد معظم الناس أن المجاعات في الهند ترتبط دائماً بالمناخ السيىء ، لكن حدة المجاعة اشتدت في ظل الاستعمار ، ولا سيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع أن إنتاج الغذاء تزايد مع ازدياد السكان . فبعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م أصبحت الهند مصدِّراً رئيساً للقمح إلى بريطانيا وغيرها ، ولم تعد تخزن الفائض من إنتاجها تحسباً لأوقات الندرة والمجاعة . وصدرت أرقاماً قياسية من الحبوب خلال مجاعة قاسية سنة ١٨٧٦ـ١٨٧٧ ، مما أدى إلى الارتفاع السريع في

---

(١) كيف يموت النصف الآخر من العالم ص : ٢٣ ، ٥٦ .

مستوى الأسعار ، وتم للتجار الجشعين جني أرباح طائلة ، بينما كان آخرون يموتون من الجوع[1] .

ووقعت فيها أشهر مجاعات هذا القرن خلال الأربعينات منه ، وهي مجاعة البنغال التي مات بسببها نحو مليون ونصف من البشر . وكانت الحرب هي السبب في حدوثها ؛ إذ أمر تشرشل الهنود وآلاف العسكريين البريطانيين في الهند أن يعيشوا على مواردهم ، لأن الغزو الياباني لبورما منعها من تصدير الأرز إلى البنغال وسائر الهند ، وأدى الجفاف سنة ١٩٤٢ إلى نقص محصول الأرز ، ولكن مع ذلك سمحت الحكومة الاستعمارية بتدفق الأرز خارج البنغال ، حتى صدِّر منه / ١٨٥/ ألف طن خلال الأشهر السبعة الأولى من تلك السنة ، وذهب الغذاء إلى الذين يملكون النقود ، وجمع التجار الأرباح الضخمة .

وكانت الصين تعاني من المجاعة في إحدى مقاطعاتها كل سنة تقريباً ، وتقع فيها كوارث مثل الفيضانات والجفاف باستمرار . وقدر تقرير للصليب الأحمر عام ١٩٢٩ أن ثلاثة ملايين وفاة كل عام يمكن إرجاعها إلى المجاعة ، وفي موسم ١٩٧٢-١٩٧٣ كانت ثماني عشرة دولة تضم ثلث سكان العالم تعاني من الجفاف . وكانت المناطق الغربية في الهند تواجه المجاعة ، وتموت قطعان الماشية في السّاحلُ الإفريقي ، وكانت الصين تواجه ثالثة سنوات الجفاف وأسوأها خلال ثلاثة عقود ، ولكن لم تحدث فيها مجاعة ، بل جنت المقاطعات الأشد تضوراً محاصيل قياسية فيها . والسر في ذلك أنها عملت على ترويض نهر هاي في مقاطعة هوباي قرب بكين ، وقام مئات الألوف من النساء والرجال بتحسين / ١٧٠٠/ ميل من مجرى النهر ، فحفروا / ٢٠٠/ فرع جديد

---

(١) صناعة الجوع ( خرافة الندرة ) . ص : ٩٨-١٠٢ .

و/ ١٢٠٠٠/ قناة ، وأقاموا / ٥٠٠٠٠/ قنطرة ونفق ، وتم إنشاء / ٣٥/ خزاناً في الجبال لتخزين أكثر من / ١٠٦/ ملياراً م٣ من الماء .

ثم حفرت مئات الآبار ؛ فزادت المساحة المروية في هوباي وحدها على / ٨٥٠/ ألف فدان ، وأصبحت الصين تملك ثلث أراضي المحاصيل المروية في العالم . وبهذا أمكن درء الفيضانات وتخزين الماء لسنوات الجفاف . كما غرست الأشجار على نطاق واسع للسيطرة على التدمير والتآكل بسبب الريح . وتمت كل هذه الأعمال بالأيدي دون استعمال للآلات الضخمة ، ومن دون اعتماد على معونة من الدول الغربية أو اقتراض من البنك الدولي[١] .

والجفاف الذي أصاب الساحل الإفريقي خلال سنوات ١٩٦٩ـ١٩٧٣ لم يكن أشد من غيره ، فقد شهدت سنوات ١٩١٠ـ١٩١٣ جفافاً أشد منه . وبدراسة نمو حلقات الأشجار المعمرة اكتشف العلماء حدوث موجات جفاف قاسية مرات عديدة على مدى القرون الثلاثة الماضية . وقد تمكن الزراع في تلك المنطقة من التكيف مع البيئة ، وكانوا يتركون بعض الأرض بوراً للراحة مدة تمتد إلى عشرين عاماً ، ويزرعون محاصيل عديدة تتيح لهم تكاملاً غذائياً . وكانوا يتعاونون مع الرعاة ، ويعطونهم محاصيل الغلال مقابل اللبن واللحم ، ويسمحون لهم برعي أراضيهم البور ليتم تسميدها بالروث والبعر .

وكانت مالي[٢] تعرف بأنها سلة غذاءِ إفريقية ، وكان يعتمد عليها في

---

(١) صناعة الجوع ( خرافة الندرة ) ، ص : ٩٨ـ١٠٢ .

(٢) تبلغ مساحة مالي / ٢٤٠٠٠٠/ كم٢ ، وعدد سكانها / ٤٦٥٤٠٠٠/ نسمة وعاصمتها ماكو ، وتقع إلى الشرق والجنوب من موريتانيا ، ويرويها نهر النيجر .

استيراد الغلال في أوقات احتياج جاراتها ، وكانت تخزن الغلال للسنوات الشداد .

فلما سيطر الاستعمار على تلك المنطقة أجبر الفلاحين على زراعة محاصيل للتصدير كالفول السوداني والقطن ، وتكرر ذلك حتى أرهقت التربة . وللحفاظ على صادرات القطن اللازم لمصانع النسيج الفرنسية أجبر الفلاحون على توسيع المساحة المزروعة به ، وتخفيض زراعة الشوفان والذرة الصفراء . وكانت إحدى الدول الأشد تضرراً من الجفاف ، وخلال السنوات الخمس السابقة له حدث انخفاض في المساحة المخصصة لإنتاج الغلال الغذائية ، وزادت المساحة المخصصة للفول السوداني بنسبة ٥٠٪ وللقطن بنسبة ١٠٠٪ ، وزاد إنتاجها من الفول بنسبة ٢٥٪ ، وتضاعف إنتاجها من القطن ثلاث أو أربع مرات . وبلغت صادراتها من القطن الخام خلال سنوات الجفاف مستويات قياسية قدرت بنحو خمسين مليون رطل ، بمعدل عشرة أرطال لكل شخص فيها ، ولكن كمية الأغذية التي تحت تصرف السكان انخفضت بنسبة ٤٠٪[١] .

وكان الزراع النيجيريون[٢] يزرعون فصائل عديدة من الذرة الصفراء تحتاج إلى كميات مختلفة من المطر ، فتحولوا إلى فصيلة تعطي محصولاً أكبر ، لكنها تحتاج إلى درجة أعلى من الرطوبة .

وعملت النيجر فيما بين عام ١٩٦١ وأسوأ سنوات الجفاف ١٩٧١ على مضاعفة إنتاجها من القطن أربع مرات ، ومن الفول السوداني ثلاث

---

(١) صناعة الجوع ، ص : ٢٢ ، ٤٨ ، ١٠٤ـ١٠٩ .

(٢) تبلغ مساحة النيجر /١٢٦٧٠٠٠/ كم٢ ، وسكانها /٤٣٣٠٠٠ ٣/نسمة ، وتقع شرقي مالي إلى الجنوب من الجزائر . ويبلغ عدد سكان عاصمتها نيامي نحو /٤٠٠٠٠/ نسمة .

مرات ، وكسبت من تصديرها ذلك العام نحو ١٨ مليون دولار . لكنها بدلاً من الحصول على الغذاء لشعبها الذي يعاني من سوء تغذية ملحوظ ، ولا يتجاوز متوسط الأعمار فيها ٣٨ عاماً ، فإنها أنفقت عشرين مليون دولار لاستيراد الملابس ، وأكثر من مليون دولار لشراء التبغ والخمر ، ومليون دولار لشراء السيارات الخاصة ، وأكثر من أربع ملايين دولار لشراء البنزين والإطارات . وزادت السيارات الخاصة فيها خلال سنوات ١٩٦٧ـ١٩٧٠ أكثر من ٥٠٪ ، وأغلبها لنخبة العاصمة نيامي الضئيلة السكان .

وحين يخصص جزء من قيمة الصادرات لاستيراد الغذاء فإنه لا يصل إلى الفقراء الذين يعملون لإنتاج محاصيل التصدير ، بل تستهلكه الطبقات الميسورة في المناطق الحضرية . وقد خصص نصف ما كسبته السنغال من العملة الصعبة بتصدير الفول السوداني عام ١٩٧٤ لاستيراد القمح للمطاحن التي يملكها الفرنسيون ، والتي تنتج الدقيق لصناعة خبز فرنسي لسكان المدن[١] .

وقد تضمن تقرير قدم للجنة الجغرافية الوطنية عن أزمة الغذاء العالمية رداً ممتازاً على التفسير المناخي لمشكلة الجوع ، وأبرز عدة صور مأخوذة للساحل الإفريقي بوساطة القمر الصناعي ، تظهر إحداها جزيرة خضراء بشكل مسدس في وسط بحر من رمال الساحل . وبين التحقيق أنها مزرعة عصرية مساحتها مئة ألف هكتار ، يحميها من الصحراء المحيطة بها سياج من الأسلاك الشائكة ، وفي داخلها سياجات أخرى تقسمها إلى خمسة قطاعات ، لترعى فيها الماشية على التناوب ؛ مما يجنبها زحف الصحراء . وقد أنشئت في ذلك المكان منذ سبع سنوات وسط عشرات

---

(١) صناعة الجوع ص : ١١١ـ١١٢ .

الآلاف من الناس الذين يموتون من الجوع . ويملكها ملاك أرض محليون أغنياء أو شركة زراعية غذائية أجنبية ، وهي تنتج لحم البقر للتصدير .

وفي تقرير آخر تبين اللجنة الجغرافية الوطنية أنه في حال وقوع كارثة طبيعية يمكن أن توجد وفرة غذاء مع المجاعة العامة الناتجة عن قوى اقتصادية خارجة عن السيطرة ؛ فبعد فيضانات عام ١٩٧٤ في بنغلاديش ، وعلى الرغم من الخسائر الناتجة عنها قدر فيها وجود أربعة ملايين طن من الأرز ، وهي كمية تكفي لإطعام البلاد كلها مدة أربعة أشهر . ولكن معظم الناس الذين عانوا من الفيضانات هم أفقر من أن يستطيعوا شراء الأرز ؛ إذ كان تباع الليبرة منه بنصف دولار ، بينما يبلغ متوسط الدخل السنوي للفرد سبعين دولاراً . وكان الأرز يهرّب إلى الهند ليباع بسعر مضاعف[١] .

وهكذا يتضح أن الجفاف والفيضانات والأعاصير والمناخ السيىء ليست سبباً للمجاعة ، وأنه من الممكن الحد من تأثير هذه الكوارث ، بل من الممكن زيادة الإنتاج حين وقوعها ، وأن المجاعة لا تحدث بسبب نقص في الغذاء ، بل بسبب ارتفاع سعره وعدم استطاعة الذين يعانون من تلك المشكلة أن يحصلوا عليه .

## ثانياً ـ كثرة السكان وضيق الأرض الصالحة للزراعة :

تروج وسائل الإعلام كثيراً أن ما على الأرض من البشر يزيد عن الحد المناسب ، وأن الفقر والجوع نتيجة لمعدل الولادات المرتفع ، وأن الموارد العالمية بما فيها الغذاء محدودة ، وأن الفقراء هم الذين يستهلكون معظمها ؛ فيجب الحد من زيادة السكان لحل مشكلة الجوع .

---

(١) كيف يموت النصف الآخر من العالم ص : ٥٦ ـ ٥٨ .

والحقيقة أنه يوجد ما يكفي من الغذاء لكل فرد في العالم ، إذ ينتج في كل يوم رطلان من الحبوب مقابل كل شخص ، وهذا يولّد أكثر من ثلاثة آلاف حريرة والبروتين الوفير لكل إنسان . وهذه الكمية أكثر مما يستهلكه الفرد في أوربا الغربية . وبالإضافة إليها هناك أطعمة مغذية أخرى يأكلها الناس ، كالبقول والجوز والفواكه والخضراوات ومحاصيل الجذور ولحوم الحيوانات . وبهذا تدحض فكرة أن لا يوجد من الغذاء ما يكفي الجميع[١] ويوجد فرق كبير بين الإنتاج الحالي والإنتاج الممكن ، ولا يزرع الآن سوى ٤٤٪ من الأراضي الصالحة للزراعة في العالم ، وفي إفريقية وأمريكا اللاتينية لا يزرع سوى ٢٠٪ من الأراضي التي يمكن زراعتها . وقد صرح المسؤولون الكنديون أن باستطاعتهم زيادة إنتاجهم الغذائي بنسبة ٥٠٪ خلال خمس سنوات . وفي عقد الستينات من هذا القرن زاد الفائض في الإنتاج عما يمكن تصريفه في الأسواق ، فسحبت الحكومة من الإنتاج مساحة عشرين مليون هكتار من الأراضي ، وظلت تدفع لمستثمريها مكافآت لكي يتوقفوا عن الإنتاج حتى هبطت المخزونات الغذائية وارتفعت الأسعار عام ١٩٧٣[٢] .

وتركت البلدان الأربعة الكبرى المنتجة للحبوب ، وهي الولايات المتحدة وكندا واستراليا والأرجنتين ؛ ثلث أراضيها بوراً بين عامي ١٩٦٨ـ١٩٧٠ كرد فعل على فيض الإنتاج قبل ذلك الحين . ولو ظلت تنتج الحبوب بوتيرة ثابتة لأنتجت تسعين مليون طن من القمح زيادة عما أنتجته بين عامي ١٩٦٩ـ١٩٧٢[٣] .

---

(١) صناعة الجوع ص : ١٨ .
(٢) كيف يموت النصف الآخر من العالم ، ص : ٣٣ـ٣٤ ، ١٨٨ـ١٨٩ .
(٣) كيف يموت النصف الآخر ص : ٣٣ـ٣٤ ، ١٨٨ ـ ١٨٩ .

وحين تصبح إحدى المواد الغذائية مهددة بانخفاض سعرها بسبب وفرتها في السوق الاقتصادية الأوربية فإن الحكومات تتدخل لشرائها على نطاق واسع ، وقد تتلف مئات الأطنان من الأغذية لإخراجها من السوق حين تدعو الحاجة إلى ذلك[١] .

وكذلك خفض إنتاج الأرز وهو الغذاء الأساسي لملايين من البشر بعد أن تضاعفت كمية المخزون من ثلاثة أضعاف بين عامي ١٩٦٥-١٩٧٠ ، وبدأت أسعاره بالانخفاض ، فانخفضت عام ١٩٧٠ بنسبة ٩٧٪ عن عام ١٩٦٣ . وأدى ذلك إلى ارتفاع أسعاره ، فبلغ سعر الطن ١٢٩ دولار في بداية عام ١٩٧١ ، وأصبح ٥٣٨ دولار في كانون الثاني عام ١٩٧٤ ، وارتفع إلى ٦٣٠ دولار في نيسان من ذلك العام[١] .

ويمكن لمحاصيل الحبوب في الدول النامية أن تفوق الضعف في إنتاجها قبل أن تصل إلى متوسط المحصول في الدول الصناعية ، وليس هناك سبب طبيعي يحول دون مضاعفة الإنتاج فيها . ويمكن للأراضي التي تنتج محصولاً واحداً في السنة أن تنتج محصولين أو أكثر[٢] .

ولو كانت مشكلة الجوع ناشئة عن كثافة السكان لوجدت في البلدان الأكثر كثافة بالنسبة لسهولها الزراعية ؛ وإذا قارنا بين عدة بلدان تصيبها المجاعة وغيرها فإنا نجد خلاف ذلك :

ففي آسيا وهي أكثر القارات سكاناً توصلت أربعة بلدان إلى إطعام أهلها بشكل لائق ، وهي كوريا الجنوبية[٣] وتايوان والصين وفيتنام

---

(١) كيف يموت النصف الآخر ص : ٣٣-٣٤ ، ١٨٨-١٨٩ .

(٢) صناعة الجوع ص : ١٩ .

(٣) تقع كوريا الجنوبية شرقي آسيا ومساحتها /٩٨٤٧٧/كم٢ ، وعدد سكانها /٢٩٠٨٦٠٠٠/ نسمة ، وكثافة السكان ٢٩٥/كم٢ ، وعاصمتها سيؤول .

الشمالية[1] ونسبة الأراضي المزروعة فيها إلى مجموع السكان أو السكان الزراعيين هي أقل من جميع بلدان آسيا : ففي كوريا الجنوبية يصيب الفرد ٠,٠٧ من الهكتار ، وفي تايوان ٠,٠٦ ، وفي الصين ٠,١٣ ، وفي فيتنام الشمالية ٠,١٠ هـ .آ .

ويبلغ نصيب الفرد من الأراضي الزراعية في اليابان ٠,٠٥ هـ .آ . ولديها قطاع زراعي شديد الفعالية ، بينما يبلغ نصيب الفرد من الأراضي المزروعة في باكستان ٠,٤٠ وبنغلاديش ٠,١٦ وأندونيسيا ٠,١٥ هـ .آ .

وهناك إحصائيات أخرى تبرهن أن كثافة السكان ليست سبباً لمشكلة التغذية ؛ فالمجاعة توجد في بوليفيا[2] والكثافة فيها ٥/كم٢ والهند والكثافة فيها ١٧٢/كم٢ ، ولا توجد في هولندا والكثافة فيها ٣٢٦/كم٢[3] . وتبلغ مساحة الأراضي المزروعة بالنسبة لكل فرد في هذه البلدان ٠,٦٣ هـ .آ في بوليفيا ، و٠,٣٠ هـ .آ . في الهند ، و٠,٠٦ هـ .آ في هولندا . ويموت كثير من سكان بوليفيا والهند من الجوع ، بينما تنتج هولندا معظم احتياجاتها وتصدر فائضاً كبيراً ، مع أن الهولندي لا يتصرف في المتوسط إلا بخمس نصيب الهندي من الأراضي الزراعية ، وعشر نصيب البوليفي[4] .

---

(١) كان هذا الإحصاء عام ١٩٧٤ قبل توحيد فيتنام .

(٢) تقع بوليفيا في أمريكا الجنوبية إلى الغرب من البرازيل وشمال الأرجنتين ، ومساحتها / ١٠٩٨٥٨١/ كم٢ وسكانها / ٣٧٤٨٠٠٠/ وعاصمتها لاباز .

(٣) تجاوزت كثافة السكان في الهند / ٢٢٧/ كم٢ وفي هولندا / ٣٧١/ كم٢ ولكنا ذكرنا الإحصاءات السابقة للمقارنة . ( الأطلس العربي العام/ مؤسسة الصباغ ـ بيروت ) .

(٤) كيف يموت النصف الآخر : ٧٣ـ٧٤ .

وفي بنغلاديش يعيش أكثر من ثمانين مليوناً في بقعة تعادل مساحة انجلترا وويلز ، ولكن المجاعة فيها ليست بسبب ازدحامها بالسكان ، فهي تنتج بمواردها المحدودة من الغلال وحدها ما يكفي لتزويد كل فرد فيها بما لا يقل عن ٢٣٠٠ حريرة يومياً ، وتوجد فيها تربة غرينية غنية وعميقة ، وترويها ثلاثة أنهار ضخمة بفروعها التي لا تحصى ، وتتمتع بمناخ جيد وشمس ساطعة ، وفيها غاز طبيعي يمكن أن تصنع به الأسمدة ، ويمكنها أن تصبح مصدرة للغذاء[١] .

وفي إفريقية جنوبي الصحراء يوجد نحو فدانين ونصف من الأراضي المزروعة لكل إنسان ، أي أكثر مما في الولايات المتحدة ، وذلك يعادل ستة إلى ثمانية أضعاف مما في الصين ، وهذا التقدير بالنسبة لما لا يزيد على ١٢٪ من الأراضي الصالحة للزراعة . ثم إن السكان في أجزاء عديدة من إفريقية أقل كثافة مما كانوا عليه في القرن السادس عشر قبل تجارة العبيد . وذهب بعض الاقتصاديين إلى أن بعض الدول الإفريقية تعاني من قلة السكان بالنسبة لقوة العمل اللازمة لتنمية الزراعة . وهناك من يرى في الساحل الإفريقي صومعة غلال ممكنة ، ويشير إلى مستودع المياه الجوفية الكبير في ذلك الإقليم ، وإلى شبكة الأنهار الثلاثة فيه . وبإمكانية الري هذه ، وبما يتلقاه الإقليم من الشمس الاستوائية يقدر أن بإمكان الساحل الإفريقي أن ينتج من الغلال أكثر مما ينتج الآن ست مرات على الأقل ، بالإضافة إلى كميات ضخمة من اللحم والخضراوات والفاكهة[١] .

وأمريكا اللاتينية مثل إفريقية كثافتها السكانية منخفضة ، ولا يوجد فيها سوى ٦٪ من سكان العالم ، بينما يوجد فيها ١٦٪ من أراضي العالم

---

(١) صناعة الجوع : ٢٤ـ٢٧ ، ٣٢ـ٣٣ ، ١١٣ـ١١٤ .

الصالحة للزراعة . وفيها نسبة جوعى أكثر من الهند والباكستان وبنغلاديش[1] .

وليست الزراعة في البلدان المتخلفة متأخرة لأن في الريف بشراً أكثر مما يلزم للعمل بصورة منتجة ؛ بدليل أن في اليابان وتايوان ـ وهما متقدمتان في الزراعة ـ من العمال الزراعيين لكل فدان أكثر من ضعف ما في الهند والفلبين . وقيمة إنتاج الفدان في اليابان سبعة أضعاف قيمته في الفلبين ، وعشرة أضعاف قيمته في الهند . ويبدو وجود علاقة طردية بين عدد العمّال في وحدة من الأرض ومستوى الناتج الزراعي . وحين حاولت الصين زيادة الإنتاج باستخدام إمكانيات العمل البشرية وجدت أنها تستطيع أن تضاعف كمية العمل المبذول في الفدان ثلاث أو أربع مرات . وقد طورت اليابان والصين زراعة كثيفة العمالة ، يمكنها استخدام قوة العمل الإضافية بصورة منتجة ، لكن الهند والفلبين لم تفعل ذلك[1] .

وهكذا يبدو أن الجوع ليس سببه النمو السكاني ، وأن الأرض الزراعية لا زالت تنتج ما يفيض عن حاجة البشر من الطعام . وبالإمكان أن تنتج ما يكفي لأضعاف ما عليها .

### ثالثاً ـ الأسباب الأخرى للمجاعة :

لقد برهنا فيما سبق على أن الجوع المنتشر في العالم المتخلف ليس بسبب الكوارث الطبيعية أو زيادة السكان ، فهل السبب في ذلك هو :

١ـ خمول السكان وعدم قيامهم بالأعمال التي تؤدي إلى إنتاج ما يكفيهم ، أم توجد أسباب مفتعلة لهذه المشكلة؟ .

---

(١) صناعة الجوع : ٢٤ـ٢٧ ، ٣٢ـ٣٣ ، ١١٣ـ١١٤ .

إن النظرة الدقيقة إلى واقع الناس في هذه البلدان وإلى ماضيهم يكشف الحقيقة ويحدد أسباب الجوع . فقد كانت شعوب العالم الثالث قبل أن يكتشفها الغربيون ويتمكنوا من السيطرة عليها أحسن حالاً من أوربا في كثير من النواحي الاقتصادية والاجتماعية . وقد تمكن الناس في تلك البلدان من معرفة أنواع التربة وخصائصها وما يناسبها من المزروعات ، والوقت المناسب للبذر وعرفوا نظام الدورة الزراعية والمحاصيل المختلطة وإراحة الأرض والحد من نمو الأعشاب الضارة فيها ، وصمموا معدات لرفع المياه ، وكانوا يعيشون في حالة كفاية معظم الأحيان ، وفي رغد من العيش أحياناً .

٢ـ فلما تمكن المستعمر من استغلال تلك البلدان والسيطرة عليها دمر الأساليب الزراعية المعهودة ، ونظر إليها على أنها بدائية ومتأخرة ، وجعل الزراعة وسيلة للثروة ، وهدفها إمداد الدول الاستعمارية بما تحتاجه ، ولم تعد وسيلة لإنتاج غذاء السكان الأصليين .

٣ـ ولذلك منع زراعة المحاصيل المعتادة ، وعمل على زراعة المحاصيل النقدية ؛ فأجبرت غانا الاستوائية على إنتاج الكاكاو ، وكانت قد اشتهرت بزراعة اليام ـ وهو نوع من البطاطا ـ وغيره من المواد الغذائية . وكذلك أصبح معظم ساحل الذهب ينتج الكاكاو . وحولت ليبيريا إلى مزرعة تابعة لشركة الإطارات والمطاط ( فابرستون ) ، وتم التخلي عن إنتاج الغذاء في داهومي وجنوبي غرب نيجيريا من أجل زيت النخيل وأجبرت تنجانيقا ـ تنزانيا الآن ـ على التركيز على السيزال ، وكانت تصنع من أليافه الحبال ، وأوغندا على زراعة القطن .

وفي أثناء الحرب الأهلية الأمريكية رأى الفرنسيون أن دلتا اليكونج بفيتنام مناسبة لإنتاج الأرز للتصدير ، فشجعت ذلك ، حتى أصبحت

فيتنام ثالث أكبر مصدر للأرز في العالم في الثلاثينات ، ولكن كثيراً من الفيتناميين المعدمين صاروا جوعى .

ولم تدعم برامج الأشغال العامة الاستعمارية سوى إنتاج محاصيل التصدير ، فقد ساعدت أعمال الري البريطانية المقامة في الهند في القرن التاسع عشر على التوسع في محاصيل التصدير الربيعية ، على حساب الشوفان والبقول التي كانت تزرع في الخريف باعتبارها المحاصيل الغذائية الأساسية . ومنذ منتصف تسعينات القرن التاسع عشر حتى وقت مجاعة البنغال في السبعينات من القرن العشرين ازداد إنتاج المحاصيل النقدية مثل القطن في الهند بنسبة ٨٥٪ بينما انخفض إنتاج الغذاء بنسبة ٧٪ وانخفض إنتاج الأرز في شرقي الهند والبنغال بنسبة ٣٨٪ لكل فرد بين عامي ١٩٠١ـ١٩٤١ ، وأصبح إنتاج المحاصيل غير الغذائية يعادل تقريباً ثلث الإنتاج الإجمالي .

وقد لجأت إلى القوة المادية والاقتصادية لإجبار السكان المحليين على زرع محاصيل التصدير بدل الغذاء ، وكانت هذه المحاصيل تزرع عادة تحت تهديد البنادق والسياط . واستولت على مساحات شاسعة من الأرض لإنشاء المزارع الكبيرة التي تنتج تلك المحاصيل ، بثمن بخس أو بأجرة زهيدة أو من دون مقابل . وكانت الضرائب المفروضة على الماشية والأرض والبيوت والسكان هي الوسيلة التي تجعل الفلاحين مضطرين إلى زراعة محاصيل لبيعها ، أو العمل في المزارع الكبيرة والمناجم التي يملكها الأوربيون ، لكسب ما يترتب عليهم[1] .

ولم تختلف سياسة الحكام بعد الاستقلال عن المستعمرين ، فكانوا يجبرون الفلاحين على زراعة القطن لدفع ما عليهم من الضرائب .

---

(١) صناعة الجوع ص١٠٠ ، ١٢٣ـ١٢٦ .

وقد أنتجت كل دولة في الساحل الإفريقي ما يكفي من الغلال لإطعام سكانها حتى خلال أسوأ سنوات الجفاف . وفي تلك السنوات كانت السفن التي تجلب غذاء الإغاثة إلى ميناء دكار[1] ترجع محملة بالفول السوداني والقطن والخضراوات واللحم والسلع التي تبلغ قيمتها مئات الملايين من الدولارات ، وتذهب إلى المستهلكين في أوربا وأمريكا الشمالية والميسورين .

وخلال الجفاف زادت صادرات كثير من بلدان الساحل الإفريقي ، وبلغ بعضها مستويات قياسية ؛ فقد بلغ إجمالي صادرات الماشية خلال سنة ١٩٧١ ما يفوق مئتي مليون رطل ، بزيادة ٤١٪ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ ، وتضاعف الصادر السنوي من لحوم البقر المثلجة والمجمدة ثلاث مرات . وتم تصدير ٦٥ مليون طن من السمك و٣٢ مليون رطل من الخضراوات من منطقة الساحل الإفريقي المنكوبة سنة ١٩٧١ . وخلال سنوات الجفاف بلغت قيمة الصادرات الزراعية من بلدان الساحل الإفريقي ١,٥ مليار دولار ، وهي تعادل ثلاثة أضعاف قيمة الحبوب المستوردة إليها .

وفي كثير من البلدان لا زالت المحاصيل النقدية تزرع في أخصب الأراضي ، وتغطي مساحات شاسعة ، تقدر بنحو ٥٥٪ من المساحة المزروعة في الفلبين ، وأكثر من ٨٠٪ في جزيرة موريشس . ويغطي الفول السوداني وحده ٥٠٪ من الأراضي المزروعة في السنغال . ويخصص لهذه المحاصيل القسم الأعظم من وسائل الإنتاج كالأسمدة

---

(١) دكار عاصمة السنغال على ساحل المحيط الأطلسي ، وسكانها /٤٥٠٠٠٠/ نسمة .

والمبيدات والري والآلات الزراعية . أما الفلاح الصغير فلا حظّ له في غير وسائل الإنتاج البدائية[1] .

وأدى زراعة الأرض بمحاصيل التصدير كل عام إلى إنهاك التربة ونقص إنتاجها وانتشار الآفات والأعشاب الضارة ، وقد ظنوا أنه يمكن جعلها خصبة بإضافة السماد الكيميائي إليها ، ويمكن القضاء على الآفات والأعشاب الضارة باستعمال المبيدات الكيميائية ، ولكن ذلك أدى إلى تلوث البيئة ، ثم اكتسبت الحشرات مناعة ضد المبيدات فتكاثرت من جديد ، وخاصة بعد أن أدت المبيدات إلى قتل أعدائها التي كانت تتغذى عليها .

ثم ارتفعت أسعار الأسمدة والمبيدات ، مما دفع إلى توسيع الرقعة المزروعة بمحاصيل التصدير على حساب زراعة المواد الغذائية ؛ فتفاقمت المشكلة وزاد عدد المتضررين بها . وأدى الحرث العميق للتربة إلى تآكل مساحات شاسعة ، وأدى نقص الغلال المنتجة إلى ارتفاع أسعارها .

٤ـ ولم تكن أسعار المحاصيل النقدية بالمقدار العادل الذي يتناسب مع جهد المزارعين ويمكنهم من الحصول على الغذاء الجيد ، وكانت قيمتها الحقيقية تنخفض كلما زاد الإنتاج ، إذ زاد حجم الصادرات أكثر من ٣٠٪ خلال عشر سنوات في حين أن قيمتها الحقيقية زادت ٤٪ فقط .

واضطرت بنغلاديش التي تعتمد على تصدير الجوت للحصول على نصف دخلها من العملات الأجنبية ، إلى بيعه بسعر أرخص ، لأن الألياف الصناعية أصبحت بديلاً عنه لرخص ثمنها . وصرحت تنزانيا أنها في عام

---

(١) كيف يموت النصف الآخر : ٤٩ .

١٩٦٣ كانت تبيع خمسة أطنان من السيزال ـ وهو نبات يستخرج من أوراقه ألياف لصنع الأكياس والحبال ـ لشراء جرار ، وفي عام ١٩٧٠ توجب عليها بيع عشرة أطنان منه لشراء الجرار . وكان البلد المصدر للمطاط يستطيع شراء ستة جرارات بقيمة ٢٥ طناً من المطاط عام ١٩٦٠ ، فأصبح لا يستطيع شراء أكثر من جرارين بثمن تلك الكمية . وكانت ثلاثة أطنان من الموز تعادل ثمن جرار عام ١٩٦٠ ، وأصبحت قيمته تعادل أحد عشر طناً عام ١٩٧٠ وتوجب على بلدان الساحل الإفريقي إنتاج ضعفين ونصف مما كان ينتجه من القطن عام ١٩٦٠ لشراء سيارة فرنسية رخيصة[١] .

وظهرت مجالس التسويق في إفريقية في الثلاثينات للحصول على أرباح إنتاج المحاصيل النقدية ، وكانت تدفع للمنتجين المحليين سعراً أدنى بكثير من أسعار السوق العالمية . وكان الفول السوداني الذي تشتريه المجالس من الزراع في غرب إفريقية يباع في بريطانيا بأكثر من سبعة أضعاف ما حصل عليه الفلاحون . وكانت هذه المجالس تحت سيطرة الشركات الضخمة الأجنبية . ولم تتمكن البلدان المنتجة من تحديد الأسعار الدولية لمنتجاتها ، بل توجب عليها أن تكتفي بما يقدم لها . وقد دلت دراسة مفصلة على سبيل المثال أن البلدان المنتجة للموز في أمريكا الوسطى والجنوبية لا تحصل سوى على ١١٪ من قيمته التجارية .

واستطاعت ثلاث من هيئات تصدير الغلال الضخمة أن تحتجز ٩٠٪ من محصول فول الصويا بسعر أربع دولارات للبوشل خلال شتاء ١٩٧٢ـ١٩٧٣ ، وأن ترفع الأسعار إلى عشر دولارات بعد ذلك بشهور قليلة[٢] .

---

(١) كيف يموت النصف الآخر : ٤٦ ـ ٤٨ ، صناعة الجوع : ١٢٦ـ١٢٧ ، ٢٢٥ ، ٢٧٨ .

(٢) وهذا ما تفعله الولايات المتحدة كلما رأت فيضاً في الإنتاج وانخفاضاً في الأسعار ،=

أما أسعار المواد الغذائية فكانت منخفضة بما يجعل كل واحد قادراً على الحصول عليها ، وبما يجعل الفلاحين يزهدون في إنتاج الغذاء ويفضلون شراءه ؛ ثم ارتفعت بدرجة كبيرة عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٢ حين عملت الولايات المتحدة على زيادة الطلب على إنتاجها ورفع أسعاره . وساعد على ذلك خفض الإنتاج في السنوات السابقة ، فكانت المساحة المخصصة لزراعة القمح عام ١٩٧٠ لا تتجاوز ٧٥٪ من المساحة المخصصة له عام ١٩٦٧ ؛ وخفضت قيمة الدولار بما يجعل قمحها أرخص في الخارج من غيره ، وقدمت تمويلاً للاتحاد السوفيتي لمشترياته من القمح ، فاستورد منها ١٩ مليون طن . وسارعت بلدان أخرى إلى استيراد القمح الأمريكي . ثم هب الإعصار الموسمي في الهند ، وحل الجفاف في غربي إفريقية والصين واستراليا والأرجنتين . وفوق ذلك وضعت خمسة ملايين فدان أخرى خارج الإنتاج عام ١٩٩٢[١] ، وفي أوائل ١٩٧٣ عندما بدأت مبيعات التصدير خفضت قيمة الدولار مرة ثانية ؛ وأصبح القمح الأمريكي أرخص لليابانيين بنسبة ١٥٪ فهرعوا إلى استيراده ، وأدى هذا كله إلى ارتفاع سعر القمح ثلاثة أضعاف بعد مدة وجيزة ، ورافقه ارتفاع أسعار سائر المواد الغذائية . وما زالت الأسعار ترتفع باستمرار ، بما ينتج عنه جوع بعض الناس وسوء تغذية الكثيرين .

---

= ولهذا أمر الرئيس كارتر في آب ١٩٧٧ بسحب ٣٠٪ من المساحة المزروعة قمحاً من الإنتاج ، بسبب الفوائض المتراكمة في العام السابق له . ( كيف يموت النصف الآخر من العالم : ٣٩٤ ) .

(١) انظر التعليق السابق.

ويرافق ذلك زيادة في الإنتاج ، وانخفاض لأسعار بعض المواد من حين إلى آخر ، مما يجعل بعض المزارعين يرون أن ترك محصولهم يتعفن في الأرض أفضل من جمعه وبيعه . وقد تجاوزت الفاكهة التي لم تجمع أو أهملت لأسباب اقتصادية في الولايات المتحدة خلال الأعوام ١٩٥٩ـ١٩٧٣ مليار رطل .

ولا تمثل تقلبات الأسعار آلية التوازن في نظام السوق ، لأن نظام إنتاج الغذاء وتسويقه تسيطر عليه شركات معدودة . وترتفع الأسعار بالنسبة للمستهلك استجابة لدورات السلع الأساسية ، لكنها لا تهبط ثانية إلى مستواها عند بداية الدورة . ونشاطات المضاربة وأساليب الدعاية هي السبب الأساسي للتقلبات الحادة في السعر ؛ فالكاكاو مثلاً يرتفع سعره بمجرد الإعلان عن دعوة إلى اجتماع منتجين ، أو نشر شائعات حول تغيير سياسي في حكومة منتج أساسي له ، أو تقرير عن وباء غامض يصيبه . وقد يستمر ارتفاع السعر مدة يوم أو شهر ؛ وهذا الارتفاع لا يفيد المنتجين في شيء ، وإنما يفيد التجار الذي يجنون أرباحاً كبيرة بسببه .

وتؤدي تقلبات السعر الحادة إلى الفوضى في خطط التنمية طويلة الأجل ، وغالباً ما يتضرر المزارعون الصغار والدول النامية من هذه التقلبات ؛ أو تخطط لإنتاج محصول على أساس سعره في السوق ، فإذا تمكنت من إنتاجه بعد بضع سنين ينخفض سعره إلى نصف ما كان عليه أو أكثر .

وقد ارتفعت أسعار المحاصيل التي تبيعها الدول الصناعية أكثر بكثير من أسعار السلع التي تصدرها البلدان المتخلفة . وأصبحت هذه البلدان مضطرة إلى استيراد الحبوب الغذائية وحاجتها منها وأثمانها في ارتفاع مستمر . وقدرت الأمم المتحدة أن مستوردات البلدان المتخلفة من

الحبوب بلغت بين عامي ١٩٦٩ـ١٩٧١ مقدار ١٦ مليون طن في السنة ، ولعلها بلغت ٨٥ مليون طن عام ١٩٨٥ ، أما عندما تكون المواسم فيها سيئة فيمكن أن تبلغ مستورداتها ١٨٠ مليون طن . وحينئذ تعجز البلدان الفقيرة عن دفع أثمانها .

ثم إن التركيز على إنتاج محصول واحد أو محصولين يعرض العمال الزراعيين للبطالة في شهور طويلة من السنة ، ويجعل بقاء العائلة الزراعية يعتمد على النقود التي تأتي مرة أو مرتين في وقت الحصاد ، وهذا يجعلها هدفاً مكشوفاً أمام التجار الجشعين . ومحاصيل التصدير تضر بأغلبية السكان ، ولا ينتفع منها سوى كبار التجار وملاك المزارع الضخمة ، وأولئك المرتبطين بالشركات متعددة الجنسية في بلادهم ، ومسؤولي الحكومة الذين ينالون أجرهم مقابل إدارة نظام التصدير . ولا تستعمل أثمانها سوى في استيراد المنتجات الصناعية والحاجيات الكمالية من الدول المتقدمة[١] .

٥ـ ومن الأسباب التي تؤدي إلى حصول المجاعة وسوء التغذية جشع التجار وأساليبهم في استغلال الفلاحين وسلب خيراتهم ؛ ففي وقت الحصاد تنخفض الأسعار إلى أدنى حد لها ، ويضطر كثير من المزارعين لبيع كمية كبيرة من إنتاجهم ليؤدوا ما عليهم من ديون للمرابين والتجار الذين قدموا لهم القروض والطعام قبل الحصاد بأسعار مرتفعة وفوائد كبيرة . والكثير من المزارعين هم مستأجرون للأرض وليسوا ملاكاً ، فيتوجب عليهم أن يدفعوا ثمن التكاليف الزراعية ، ثم يقدموا ما يزيد على نصف محصولهم للمالك ويجدون أنفسهم بلا نقود أو احتياطات غذائية

---

(١) صناعة الجوع : ١٥ ، ٦٤ـ ٦٨ ، ٢٣٧ـ٢٤٠ ، ٢٤٥ـ٢٤٦ ، كيف يموت النصف الآخر من العالم : ١٢٥ ، ١٤٩ .

كافية لمواجهة حاجيات عائلاتهم حتى الموسم القادم . وحين يقومون بالعمل الشاق في موسم الحصاد فإنهم يضطرون من جديد لاقتراض النقود بفوائد مرتفعة ، وشراء الطعام بأسعار عالية ، وقد يبيعون معظم محصولهم حينئذ بثمن بخس ، ثم يسلمونه إلى التجار يوم حصاده . وتظهر إحصائيات المصرف العالمي أن المزارعين الصغار يضطرون لدفع فوائد كبيرة إلى المقرض المحلي في البلدان المتخلفة . ويصل معدل سعر الفائدة السنوية في ماليزيا إلى ٥٨٪ وفي أثيوبيا إلى ٦٦٪ ونيجيريا إلى ١٩٢٪ .

ولهذا صار كثير من الملاك تجاراً ، يحتكرون الغذاء ، ويتحكمون في سعره . وغالباً ما تتضاعف الأسعار بعد موسم الحصاد بسبعة أشهر . وحين الأزمات ووقوع الكوارث ترتفع الأسعار إلى ضعفين وخمسة أضعاف ، ويجني هؤلاء التجار مرابح ضخمة . وأصبح التجار الكبار يعتمدون على المعلومات التي تعطيها الأقمار الصناعية ، ويقدرون على وجه الدقة ما ستكون عليه المواسم المقبلة ، ويسارعون إلى بيع مخزوناتهم إن رأوا أن الموسم جيد ، ويحتفظون بها إن لم يكن كذلك . ويفعلون ذلك في الحين الذي يعجز فيه كثيرون عن الحصول على الغذاء ويموتون من الجوع .

وهذا ما يدفع هؤلاء البؤساء إلى بيع أراضيهم وخاصة حين وقوع الأزمات ، فيشتريها التجار بأثمان بخسة ، وتزداد المأساة انتشاراً[1] .

٦ـ وقد تركزت ملكية المزارع الضخمة في أيدي قليل من الأفراد ، ولم يعد يعمل في الاستثمار الزراعي سوى أقل من ٤٪ من سكان أمريكا .

---

(١) صناعة الجوع : ٢٦ـ٢٧ ، ١١٢ـ١١٣ ، كيف يموت النصف الآخر ص : ٥٣ ، ١٩٥ ـ ١٩٦ ، ٤٣٥ .

وأصبح نحو /١١٠٠٠٠/ من أصل /٢٨٠٠٠٠٠/ استثمار زراعي ينتج نصف غذاء ٩٦٪ من السكان ، وملايين الأطنان للتصدير ؛ بينما كان فيها منذ أربعين سنة /٦٨٠٠٠٠٠/ استثمار زراعي ، والملايين الأربعة من الاستثمارات التي زالت كانت لعائلات صغيرة ، فحل محلهم مزارعون كبار . وواحد بالمئة من منشآت تسمين الحيوانات في أمريكا ينتج اليوم ٦٠٪ من لحوم البقر . وثلاثة منتجين ينتجون ٩٠٪ من الخس الأمريكي .

وفي أمريكا الجنوبية يشرف ١٧٪ من ملاك الأراضي على ٩٠٪ منها ؛ وفي آسيا عدد أكبر من الاستثمارات التي تتراوح مساحتها بين ٥ـ٥٠ هكتاراً ، ولكن يشرف خمس ملاك الأراضي فيها على ثلاثة أخماس الأراضي الصالحة للزراعة .

ومقابل ذلك يوجد أكثر من ٨٠ مليون استثمار تقل مساحة الواحد منها عن هكتارين ، ولا يتعدى إنتاجها مستوى الفقر المطلق . ويتزايد عدد الفلاحين الذين لا يملكون أرضاً ، وخاصة في بلدان آسيا . ولا يملك نحو ثلث سكان الأرياف في أمريكا اللاتينية إلا ١٪ من الأراضي المزروعة وفي إفريقية لا يملك ثلاثة أرباع الفلاحين إلا ٤٪ منها . وتظهر إحصاءات المصرف العالمي عن ٢٢ بلداً متخلفاً أن ثلث سكان الأرياف لا يملكون قطعة أرض .

وفي معظم البلدان التي تنتشر فيها المجاعة يسيطر كبار الملاك على أكبر مساحة من الأرض الزراعية . وقد أظهرت دراسة عن ٨٣ بلداً أن نحو ٣٪ من الملاك يسيطرون على نحو ٧٩٪ من الأرض المزروعة ، ويملك أحدهم ١١٤ فداناً أو أكثر . وهؤلاء الملاك هم أقل إنتاجية وأكثر استهلاكاً ، وكثير من الملاك يحوز على مساحات شاسعة من الأرض لأجل المكانة الاجتماعية أو التجارة بها ، وليس لإنتاج الغذاء فيها .

وتبين دراسة حول استخدام الأراضي في أمريكا الوسطى أن الزراع الذين يملكون عشرة أفدنة يزرعون ٧٢٪ من أراضيهم ، وأن الذين يملكون أكثر من ٨٦ فداناً لا يزرعون سوى ١٤٪ منها . ولم يزرع الملاك الذين يسيطرون على ٧٠٪ من الأراضي في كولومبيا عام ١٩٦٠ سوى ٦٪ من أراضيهم . ثم إن الثروة التي يجنيها هؤلاء الملاك لا يعاد استثمارها في التنمية الزراعية ، بل تنفق في استهلاك ترفي ، أو تستثمر في صناعات تناسب أذواق الميسورين في المدن والأجانب .

وبدلاً من مساعدة أصحاب المزارع الصغيرة وتشجيعهم على الإنتاج فإنهم يعانون من الظلم الذي يعرقل تحسين الزراعة . فالملاك الكبار يحتكرون الانتفاع بخدمات الإرشاد الزراعي والقروض غير الربوية ، والسماد ووسائل الري ، ولا يتمكن المزارعون الصغار من الحصول عليها . وغالباً ما يشترط للحصول على قرض من المصارف الزراعية أن يملك الفلاح مساحة كبيرة من الأرض ، فيحرم ٨٠ـ٩٥٪ من الفلاحين من ذلك ، ويضطرون إلى الاقتراض من المرابين بفوائد تتراوح بين ٥٠ـ٢٠٠٪ .

ومع ذلك فإن مردود المزارعين الصغار هو أعلى من مردود المزارعين الكبار ، لأنهم يزرعون بعناية أكبر مما تفعل الآلة ، ويجرون دورة للمحاصيل ، ويختارون تركيبة من الزراعة وتربية الماشية كثيفة العمالة ، ويستخدمون مواردهم إلى أقصى درجة . والزراعة عندهم ليست حساباً للربح المجرد ، بل مسألة حياة أو موت . أما المالك الكبير فإنه يستثمر أقل ما يمكن في مزرعته ، ويكتفي بمردود ضعيف . وعلى سبيل المثال فإن الاستثمارات العائلية في الهكتار الواحد في الأرجنتين والبرازيل تنتج ثمانية أمثال ما تنتجه الاستثمارات الكبيرة . وفي كولومبيا ينتج المنتجون الصغار في الهكتار الواحد أربعة عشر ضعفاً مما ينتجه المستثمرون

الكبار . وفي الهند يزيد الإنتاج في الهكتار من الاستثمارات التي تقل عن خمسة هكتارات بمقدار ٤٠٪ عن الإنتاج في الاستثمارات التي تزيد على خمسين هكتاراً . وفي تايلاند تنتج المزارع التي تبلغ مساحتها ما بين فدانين وأربعة أفدنة من الأرز نحو ٦٠٪ في الفدان أكثر مما تنتجه المزارع التي تبلغ مساحتها ١٤٠ فداناً فأكثر . وفي تايوان يكاد صافي مردود الفدان في المزارع الأقل من فدان وربع يبلغ ضعف صافي مردوده في المزارع الأكبر من خمسة أفدنة[١] .

٧ـ ومما زاد في بؤس الفقراء وحرمانهم أن الحيوانات الأهلية في البلدان المتقدمة أصبحت تعلف بالحبوب والمواد الغذائية لتسمن بسرعة ، وخصصت الأراضي الخصبة لإنتاج الحبوب التي تقدم علفاً لها بعد أن كانت ترعى العشب في المنحدرات والبوادي والأراضي التي لا تصلح للزراعة ، أو تعلف القش والتبن والمحاصيل التي لا تصلح غذاء للإنسان . وربع الإنتاج العالمي من الحبوب تأكله الحيوانات التي تملكها الدول المتقدمة ، وهذا يعادل استهلاك الصين والهند معاً .

ولم يتجاوز استهلاك الفرد وسطياً من الحبوب في البلدان المتخلفة بين عامي ١٩٦٩ـ١٩٧١ مقدار ٢٣٠ كغ في السنة . أما في الولايات المتحدة فكان يستهلك في تلك المدة وسطياً ٨٠٠ كغ في السنة . والفرد في البلدان المتخلفة يأكل الحبوب مباشرة بشكل خبز أو أقراص ، بينما يتناول الأمريكي ٩٠٪ منها بشكل لحم ولحم طير ومنتجات الألبان . وهذا يعني أن هذه النسبة من الحبوب تقدم للطيور والحيوانات . وبعد ذلك بعشر سنوات زاد استهلاك الأمريكي من الحبوب بمقدار ١٦٠ كغ في

---

(١) صناعة الجوع : ٢٠ـ٢١ـ ٢١٤ـ٢٢٢ ، كيف يموت النصف الآخر ، ص : ٢٦ـ٢٧ ، ٤١ـ٤٣ .

السنة ، وهذا يعادل الاستهلاك السنوي لهندي فقير .

وهناك مالك كبير لمزرعة في كارولينا الشمالية تبلغ مساحتها ١٥٠٠٠٠هـ .آ . ويستخدم ألف شخص لزراعة الحبوب وحصدها وصيانتها ، وتستعمل في هذه العملية الآلات التي من ضمنها الطائرات . وهي مخصصة لعلف ٥٠٠٠٠ ثور وخنزير ، تربى وتغذى في حظائر بنيت لأجلها من دون أن تمس حوافرها الأرض .

وكان نحو نصف الأراضي الأمريكية مصنفاً من قبل وزارة الزراعة على أنها مراعٍ لا تصلح لغير تربية الماشية ؛ فلما أصبحت الحيوانات الأمريكية تربى في الحظائر ، وتحشى بالبروتينات والمواد الكيميائية لتسمن بسرعة ، أهملت تلك المراعي ، وأصبحت الحيوانات تستهلك كميات هائلة من الحبوب التي كان يمكن أن تسد رمق كثير من الجياع .

وتحاول أمريكا أن تفرض هذا النموذج من الإنتاج الغذائي على أوربا وسائر العالم مع أنه يستهلك كثيراً من الطاقة ، ويحتاج إلى رؤوس أموال ضخمة ، ويسبب تلوث المياه بالفضلات ، ويؤدي إلى مزاحمة الناس على غذائهم الأساسي .

ولم تكن استيرادات الاتحاد السوفيتي الضخمة من الحبوب بين عامي ١٩٧٢ و١٩٧٥ مخصصة لإطعام السكان ، بل لإطعام المواشي ، وفي المكسيك تستهلك الماشية الغلال الأساسية أكثر مما يستهلك فلاحو البلاد . وفي البرازيل تعد الذرة المحصول الأكثر انتشاراً ، وتغطي نحو ربع إجمالي مساحة المحاصيل ، وفي عام ١٩٧٧ خصص أكثر من ثلث هذا المحصول لتسمين الماشية فيها وفي أوربا ، كما وسعت البرازيل وبارغواي المساحة المزروعة بفول الصويا وهذا الغذاء الغني بالبروتين مخصص كله تقريباً للتصدير لتسمين الماشية .

وكان المنيهوت يعد الغذاء الأساسي لسكان المناطق الاستوائية بأمريكا الجنوبية ، ويستخرج من جذوره الدرنية دقيق ونشاء مغذ ، وأصبح الغذاء الميسور للفقراء ، لكن الشركات الأوربية اكتشفت أنه علف رخيص للماشية ، فخصصت له النخبة الحضرية في تايلاند مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، ثم اتسعت مساحتها حتى جاوزت مليوني فدان . ولم يعد بإمكان الفقراء أن يجدوه بثمن رخيص .

وهكذا أصبحت الحبوب وغيرها من المحاصيل الغذائية تغذي حيوانات لا يستطيع استهلاك لحومها ومنتجاتها إلا قليل من الناس . وهناك مساحات شاسعة تستخدم مراعي للأبقار التي ستصبح أطباقاً من الهامبورغر في البلدان المتقدمة . وقد ضاعفت أمريكا الوسطى في السنوات العشر الأخيرة صادراتها من لحم البقر إلى الولايات المتحدة خمسة أضعاف ، ولكنها مقابل ذلك حدت من استهلاك السكان المحليين منه وزادت كوستاريكا صادراتها من لحم البقر إلى أمريكا الشمالية بنسبة ٩٢٪ في الحين الذي انخفض فيه الاستهلاك المحلي بنسبة ٢٦٪ .

وهكذا يبدو أن الفلاحين ليسوا كسالى ولا خاملين ، ولكن ليس لديهم وسائل للعمل ، وهناك من يحرمهم من العيش الكريم . والأغنياء من البشر هم الذين يستهلكون أو يبددون نصف الإنتاج الغذائي العالمي على الأقل ، مع أنهم لا يشكلون إلا ربع سكان العالم . وفيما بين /١٩٧٠و١٩٧٤/ استوردت أربعة من أعلى البلدان في إجمالي الناتج القومي ، وهي اليابان والمملكة المتحدة وإيطاليا وألمانيا الغربية من القمح أكثر بست مرات مما استوردت الهند والصين ، على الرغم من أن عدد سكان هذه البلدان الأربعة لا يتجاوز ربع سكان الهند والصين .

* * *

# الفصل الثاني

## أساليب القضاء على الجوع

**١ـ الاستقلال :**

ما إن أدركت شعوب البلدان المتخلفة أن المستَعْمِر هو الذي يسلب ثرواتها ، ويترك أهلها يتضورون جوعاً ، حتى قاموا يضحون بأنفسهم وبكل ما في حوزتهم ليطردوا المستعمر ويحصلوا على الاستقلال . وظنوا أنهم بذلك يحافظون على ما في بلادهم من الخيرات ، ويعملون على تنميتها والانتفاع بها ، ويقضون على الفقر والجوع والجهل والتخلف .

ولكن فرحتهم بالاستقلال لم تطل ، لأنهم وجدوا أنفسهم مكبلين بمعاهدات وأنماط للحياة تجعلهم خاضعين لسيطرة الدول الصناعية وتابعين لأنظمتها . وقد عملت هذه الدول ـ وعلى رأسها الولايات المتحدة ـ كل ما يؤدي إلى جعل بلدان العالم الثالث تحت هيمنتها ، وجعل مفاتيح كنوزه بأيديها ، مع أنها حصلت على الاستقلال السياسي ، وأصبح حكامها من أبنائها . ولتحقيق هذه الغاية دون أن تسبب استياء البلدان المتخلفة ، فإنها فتحت أبواب جامعاتها ومعاهدها العلمية لأبناء هذه البلدان ، وأنشأت فيها كثيراً من المدارس والمعاهد والجامعات ، وأقامت للمتخرجين من مدارسها ورجال الأعمال والضباط العسكريين

كثيراً من الدورات التعليمية والتثقيفية والترفيهية . وبذلك جعلتهم ينبهرون بزخارفها ، ويعجبون بنظامها الاجتماعي والاقتصادي . وما إن تصبح مقاليد الأمور بأيدي النخبة من هؤلاء حتى تصبح البلدان بكاملها تحت سيطرة الشركات الدولية وتابعة للدول الصناعية .

وفوق هذا فإن حكام العالم الثالث كثيراً ما يستعينون بالخبراء والمستشارين الأجانب ، ويقبلون بالنماذج الاجتماعية والاقتصادية الغربية دون تحفظ ، ويعدونها رمز العصرية والتقدم والحضارة ، ولو كانت تتناقض مع واقعهم وتراثهم وحضارتهم ، وتؤدي إلى الفقر والحرمان لدى سواد الشعب . وإن الأفكار التي تبنى عليها السياسة الاقتصادية في البلدان السائرة في طريق التطور هي على نطاق واسع وبشكل متزايد نابعة من البحث الجاري في البلدان المتقدمة ، وخاصة الولايات المتحدة ، وإن البحث العلمي حول التنمية الاقتصادية ما زال شديد التبعية للموارد والمبادرات الأمريكية . ونظم التربية في البلدان الفقيرة هي بكل عام مبنية على النماذج الغربية ، ولا تهتم بالاحتياجات الملحة لمواطنيها المحرومين ، وبدلاً من أن تؤدي هذه النظم إلى التنمية الزراعية ، فإنها جعلت الأجيال المثقفة تهجر الزراعة ، وتنتقل إلى المدينة للعمل في المكاتب والدوائر والشركات الكبرى ؛ وبذلك يبقى الريف يعاني من الجهل والتخلف[1] .

ثم إن المعونة الغذائية التي تقدمها الولايات المتحدة لهذه البلدان قد أسهمت في تشكيل الزعامات المحلية ، وزادت في التبعية الاقتصادية لها ، دون الاهتمام بالمشكلات الخاصة بتلك البلدان .

ولهذا فلا نعجب إذا رأينا حكام البلاد الفقيرة يشجعون زيادة محاصيل

---

(١) كيف يموت النصف الآخر من العالم/ سوزان جورج ، ص : ٨٧ـ١١٤ .

التصدير بدلاً من إنتاج الغذاء ، وهم بذلك يكسبون الأموال التي ينفقونها في شراء السيارات الحديثة القوية والمكاتب الفخمة ، والأموال التي يدفعونها رواتب للموظفين والإداريين والجند الذين يقومون بحمايتهم والدعاية لهم .

ومنذ منتصف الخمسينات حتى منتصف الستينات من القرن العشرين كان معدل نمو محاصيل التصدير أسرع بمقدار ٢,٢ مرة من مجمل معدل النمو الزراعي في البلدان المتخلفة . وازداد إنتاج البن في إفريقية أكثر من أربعة أضعاف خلال العشرين سنة الماضية ، وازداد إنتاج الشاي ستة أضعاف ، وقصب السكر ثلاثة أضعاف ، وتضاعف إنتاج الكاكاو والقطن . واتسعت مزارع القطن أربعة أضعاف في نيكاراغوا بين عامي ١٩٥٢-١٩٦٧ ، بينما نقصت المساحة المزروعة بالغلال الأساسية بمقدار النصف .

وشجعت الحكومات التي تسيطر عليها مجموعة النخبة هذا الاتجاه ، ففي كولومبيا خصص ٩٠٪ من القروض الزراعية عام ١٩٦٥ للمحاصيل النقدية : البن والسكر والقطن . وواصلت حكومات عديدة في الساحل الإفريقي استخدام أساليب الاستعمار لفرض إنتاج المحاصيل النقدية . وفي جاوا الشرقية تشترط الحكومة أن تزرع ٣٠٪ من الأرض بقصب السكر . وحتى بلدان مثل تنزانيا التي وجهت نسبة كبيرة من مواردها إلى التنمية الزراعية ، وتحدثت عن الاعتماد على النفس ، فإنها فرضت من جديد القوانين الاستعمارية التي تحدد مساحة معينة لتزرع بمحاصيل التصدير . والألفاظ الرنانة لكثير من مخططي التنمية حول تنويع الزراعة تهتم في الواقع بتنويع محاصيل التصدير ، وليس بالغذاء الأساسي لغالبية السكان[١] .

---

(١) صناعة الجوع ( خرافة الندرة ) ؛ ترجمة أحمد حسان ص : ١٤٧-١٥٠ ، ٢٤٨-٢٤٩ .

وقد حاول بعض الحكام في البلاد الفقيرة القضاء على الجوع مثل الجنرال لاناروكارديناس الذي انتخب لرئاسة المكسيك عام ١٩٣٤ ، وطبقت إدارته أشمل قانون إصلاحي زراعي في البلاد ؛ إذ كان ٢٪ من السكان يملكون ٩٧٪ من الأراضي ، وكان ٩٥٪ من سكان الريف في معظم الولايات لا يملكون أرضاً على الإطلاق . فانتزعت ملكية كثير من أفضل الأراضي ، ووزعت على المعدمين ، ليزرع بعضها الأفراد ، وبعضها الآخر الجمعيات التعاونية . واستفاد ٤٢٪ من السكان الزراعيين من توزيع ما يفوق ٧٨ مليون فدان ، وأصبحوا يملكون ٤٧٪ من الأراضي الزراعية ، وينتجون نحو ٥٢٪ من قيمة إنتاج الأمة الزراعي .

وتضاعف الدخل الحقيقي للمنتفعين بالإصلاح الزراعي في منطقة لاجونا مثلاً أربع مرات بين عامي ١٩٣٥ ـ ١٩٣٨ .

وساعد على ذلك أن البنك الوطني الحديث الإنشاء وجه القروض والمساعدات الفنية إلى المنتفعين بالإصلاح الزراعي ، ووجهت إلى الأرياف الخدمات الصحية وبرامج محو الأمية ، والتعلم المتصل بالزراعة . وبدأ الباحثون يطورون فصائل محسنة من القمح والذرة ، وهي الغذاء الأساسي للسكان الريفيين . وكان التقدم الاجتماعي والاقتصادي يحدث من دون الاعتماد على الخبرة الأجنبية أو المعدات المستوردة المكلفة ، بل باستخدام الموارد الضخمة للفلاحين المحليين ، وكان الهدف من زيادة الإنتاج معاونة كل فلاح على أن يكون منتجاً من دون أن يستغله أحد من ملاك الأرض أو الحكام والتجار ومقرضي النقود .

ولكن ما إن أوشكت مدة رئاسة كارديناس على الانتهاء حتى نشط أعداؤه الذين انتزعت أراضيهم وضياعهم ، والمجموعات المالية الحضرية الذين أزعجهم نموذج ملكية الأراضي التعاونية والملكية العامة

لصناعات معينة ، والاستثمار في الخدمات الريفية ، وأرادوا أن تدفع الدولة نفقات الطاقة الكهربائية والطرق والمطارات والاتصالات السلكية واللاسلكية والخدمات الحضرية والخدمات التي تفيد زراعة المحاصيل النقدية ، والتصنيع الحضري المملوك ملكية خاصة مما يجنون منه الأرباح الطائلة . ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية أقل عداء له ؛ فقد أقلقها تأميم شركة ستاندارد أوبل التابعة لمؤسسة روكفلر ، والسكك الحديدية المملوكة للأجانب ، وانخفاض استثماراتها في المكسيك بنسبة ٤٠٪ .

وقد نجح هؤلاء في منعه من النجاح لمدة رئاسة ثانية ، والإمساك بميزان القوى داخل إدارة خلفه افيدكا ماتشو الذي نص في أول خطة زراعية أعلنها عام ١٩٤٢ على أن الزراعة ينبغي أن تصبح أساساً لإقامة النهضة الصناعية . وبذلك أصبح التقدم الزراعي لا يقاس بسد الحاجات الأساسية لأهل الأرياف ، بل بمقدار خدمته للنمو في بقية قطاعات الاقتصاد ، وأصبح جلب المزيد من الغذاء إلى المدن يعد أساسياً في الإبقاء على الأجور الصناعية منخفضة ، مما يضمن أرباحاً مرتفعة للمستثمرين[١] .

## ٢ـ استعمال الآلات :

ومن الوسائل التي تروج لها الدعاية لحل مشكلة التغذية استعمال الآلات الزراعية على نطاق واسع ؛ فهي توفر الوقت والجهد ، وتسمح بزراعة مساحات شاسعة ، وبزراعة محصولين أو أكثر في السنة ، للسرعة في الزرع والحصاد ، وتؤدي إلى زيادة الإنتاج .

---

(١) صناعة الجوع ( خرافة الندرة ) ؛ ترجمة أحمد حسان ص : ١٤٧/ ١٥٠ ، ٢٤٨ - ٢٤٩ .

وقد بدأت الشركات الزراعية العملاقة حين تشبعت أسواقها المحلية البحثَ في الستينات عن أسواق جديدة ، خصوصاً في الدول المتخلفة ؛ فارتفعت مبيعات انترناسيونال خارج أمريكا الشمالية من أقل من الخمس إلى نحو ثلث إجمالي المبيعات ، وقفزت مبيعات جون دير الخارجية من ١٦٪ إلى ٢٣٪ من إجمالي المبيعات . أما ماسي ـ فرجسون التي تصنع الآلات الزراعية الضخمة في كندا فارتفعت مبيعاتها خارج أمريكا الشمالية إلى ٧٠٪ من مبيعاتها .

وساعد على التوسع في استيراد الآلات القروض الضخمة التي قدمتها حكومة الولايات المتحدة والمصرف الدولي إلى عدد من حكومات العالم الثالث .

لكن زيادة الإنتاج في الأرض ليست مسألة آلة حديثة ، بل مسألة زراعة مكثفة وحريصة من جانب أناس تعتمد حياتهم على الإنتاج . وتدل دراسة للمعهد الدولي لأبحاث الأرز عن زراعة الأراضي المنخفضة أنه ليس هناك فارق ملحوظ في المحاصيل بين المزارع التي تستخدم جراراً حديثاً وتلك التي تستخدم جاموسة . وفي اليابان لم تنتج المزارع التي استعملت فيها الآلات عام ١٩٦٠ محاصيل أكبر من التي زرعت بالفأس .

ولا تفيد الآلات الكبيرة سوى أصحاب المزارع الواسعة الذين يريدون أن يتخلصوا من المستأجرين ليحصلوا على نصيب أكبر من الإنتاج ، والذين يريدون أن يزيدوا من حيازاتهم المزروعة . ويستفيد منها بالدرجة الأولى الشركات التي تصنعها ، والتجار الذين يقومون باستيرادها وبيعها ، وأصحاب الأموال التي تستثمر في إنتاجها وتسويقها .

## ضرر الآلات الزراعية :

وقد سببت الآلات الزراعية البطالة لكثير من العمال الزراعيين الذين كانوا يستأجرون للزرع والغرس والحصاد وجني الثمار ؛ فالجرار يقلل إلى الخمس عدد العمال اللازمين لتجهيز حقل معينة بمحراث تجره الثيران ، وكذلك تقلل الحصادات وآلات جني الثمار الميكانيكية من عدد العمال اللازمين لتلك العمال ، أما الحصادة الدراسة فتحل محل تسعين عامل زراعي . وقد قلت كمية العمالة البشرية اللازمة في حقول إقليم البنجاب الباكستاني بنسبة ٥٠٪ عن زمن ما قبل استعمال الآلات منذ سنوات قليلة ، وتسبب إدخال آلات الحصاد إليها في فقدان نحو ٩٠ مليون يوم عمل . ويذكر مسؤول بلجنة تخطيط باكستانية أن استعمال الآلات في المزارع التي تبلغ ٢٥ فداناً يمكن أن يحل محل / ٦٠٠-٧٠٠/ ألف عامل خلال خمسة عشر عاماً . ويزيح كل جرار ثلاثة عمال في تشيلي ، ونحو أربعة في كولومبيا وغواتيمالا . ويقدر تقرير إذاعة مكتب العمل الدولي عام ١٩٧٣ أن ٢,٥ مليون عامل قد تعطلوا عن العمل بسبب استعمال الآلات في أمريكا اللاتينية .

وكذلك فإن استعمال الآلات جعل ملاك الأراضي الذين كانوا يؤجرونها يزرعونها بأنفسهم ويطردون المستأجرين منها . وبذلك زاد عدد العمال المشردين من ٢,٣ مليون إلى ٣,٣ مليون في المكسيك بين عامي ١٩٥٠ و١٩٦٠ ، وزاد عدد العائلات المعدمة أكثر من الضعف في كولومبيا بين عامي ١٩٦٤ و١٩٧٠ ، وتضاعف عدد العمال المعدمين مرتين وربع في بنغلاديش خلال ١٥ سنة ابتداء من ١٩٥١ ، وازداد عدد العمال الزراعيين في الهند عشرين مليوناً أي بنسبة ٧٥٪ بين عامي ١٩٦٠-١٩٧٠ .

ثم إن الآلات الزراعية تمكن مالك الأرض الكبير من القضاء على المزارعين الصغار ، لأن كلفة تشغيل الآلات أقل من أجور الأيدي العاملة ، ولأنه يجمع محصوله قبلهم ، ويفضل التجار التعاقد معه على كميات كبيرة ؛ وبذلك يزيح من السوق صغار المزارعين ، وتكتمل الدورة حين يشتري أراضيهم ويدعهم مشردين .

وفوق ذلك فإن الآلات تلوث البيئة بدخانها والضوضاء التي تنطلق منها ، وتحرم الأرض من الاستفادة من روث الحيوانات التي كانت تستعمل في حرثها وحمل محاصيلها ، وترعى أعشابها . وتجعل الأعشاب التي تقلع منها ، والأغصان التي تقطع من أشجارها ، والأجزاء التي لا يأكلها الناس من الزروع والخضراوات تلقى من دون أن يستفاد منها .

وكثيراً ما تؤدي الآلات الحديثة إلى ارتفاع الأسعار إلى حد يمنع الفقراء من الحصول على المواد الغذائية التي كانت متوفرة لهم ؛ فقد صممت النرويج مشروعاً لتطوير صيد السمك في ولاية كيرالا الهندية ؛ وكان الصيادون يعيشون على امتداد شواطئها ، ويصيدون السمك بطرق بدائية ، ويأكلون قسماً منه ، ويبيعون الباقي بأسعار مناسبة . فجلب النرويجيون زوارق عصرية لصيد الأسماك ، ومعدات الكترونية لتحديد مواقعها ، وتجهيزات فنية لتبريدها وحفظها . وأصبحت الشاحنات الكبيرة المبردة تنقلها إلى الأسواق ، وأدى هذا إلى ارتفاع سعرها وحرمان أبناء الولاية منها ، وأصبح أبناء البلدان الغنية هم الذين يستفيدون من هذه الثروة الغذائية ، وجنى متعهد هذا المشروع ملايين الروبيات[1] .

---

(١) كيف يموت النصف الآخر من العالم ، ص١٢٨-١٣١ .

وبهذا يتضح أن استعمال الآلات على نطاق واسع ليس ضرورياً لزيادة الإنتاج ، بل يزيد تبعية الدول الفقيرة للدول الصناعية ، ويجعلها مضطرة إلى الاستمرار في إنتاج محاصيل للتصدير ، لدفع ثمن الآلات وما تحتاج إليه من وقود وزيت وقطع غيار وخبراء وفنيين لإصلاحها .

وما تحتاج إليه الدول الفقيرة هو آلات صغيرة تجعل العمل أقل مشقة ، وتريح العمال من الأعمال التي تقصم الظهر ، وتكمل العمل البشري ، ولا تحل محله ، وتؤدي إلى رفاهية المجتمع كله ، وليس زيادة ثراء بعض أفراده . ويجب أن تقوم هذه الدول بنفسها بتصنيع آلات صغيرة قليلة الكلفة وغير معقدة ، تتناسب مع ظروفها وحاجتها ومع أراضيها والمحاصيل التي تزرعها وعدد العمال ومستواهم العلمي والفني ؛ بدلاً من أن تنخدع بالدعاية التي تروجها الشركات الدولية الكبيرة التي تصنع الآلات الضخمة ، وتجني منها الأرباح الطائلة[1] .

### ٣ـ الثورة الخضراء :

وكذلك روجت وسائل الإعلام أن الثورة الخضراء هي السبيل لمعالجة المشكلات الزراعية في العالم الثالث . وترتكز هذه الثورة على إنتاج أصناف من الحبوب ذات مردود عال ، بحيث يزيد حجم المحصول من دون زيادة مساحة الأرض المزروعة . وتتلخص المشكلة في إنتاج نباتات ذات ساق قصير ومقاوم يستطيع حمل أصناف جديدة مهجنة تستجيب للأسمدة . وتوصل الباحثون إلى إنتاج هذه الأصناف التي سميت باسم الأصناف عالية المردود .

---

(١) صناعة الجوع ، ص : ٣٦ـ٣٧ ، ١٦٦ ، ١٩٢ ـ ١٩٨ .

وقد انبثقت هذه الثورة في المكسيك عام ١٩٤٢ حين عمل عدة خبراء زراعيين على حساب مؤسسة روكفلر في معهد يعرف باسم المركز الدولي لتحسين القمح والذرة . وما إن أدخلت الأصناف الجديدة ، وخاصة إلى المزارع الكبيرة في ولاية سونورا حتى تضاعف إنتاج القمح ثلاث مرات ، وإنتاج الذرة مرتين بين عامي ١٩٤٤ـ١٩٦٧ ثم تحالفت مؤسسة روكفلر مع مؤسسة فورد لاستئناف التجارب في آسيا ، وأسستا المعهد الدولي للأبحاث عن الأرز في الفلبين عام ١٩٦٢ ، وكانت النتائج مشجعة .

وكانت الأصناف الجديدة العالية المردود تسمح بإنتاج كمية أكبر من الحبوب في الهكتار ، وفي دورة زراعية أقصر ، مما يسمح بإنتاج موسمين أو ثلاثة في سنة واحدة من أرض معينة . وارتفعت مساحة الأراضي المزروعة بالأصناف العالية المردود من القمح في البلدان المتخلفة من /١٠٠٠٠/ هـ .آ . عام ١٩٦٥ إلى /١٧/ مليون هـ .آ . عام ١٩٧٢ . وارتفعت مساحة الأراضي المزروعة بالأرز من /٤٩٠٠٠/ هـ .آ . إلى /١٦/ مليون هـ .آ . بين العاملين المذكورين . وزاد المردود في بعض المناطق ذات المناخ المناسب بمعدل ٥٠٪ .

غير أن الأصناف العالية المردود فقيرة نسبياً بالبروتينات ، وتحوي نسبة عالية من ماءات الفحم . وكانت الأغذية البروتينية المتممة تأتي في البلدان المتخلفة تقليدياً من البقول والفول السوداني والبازيلاء والفاصولياء ، وأحياناً من الصويا ، فلما تدخلت حكومات هذه البلدان لتشجيع إنتاج الأصناف الجديدة بتسهيل وسائل إنتاجها ورفع أسعار محاصيلها ؛ أصبح المستهلك عاجزاً عن تأمين حاجاته من الغذاء عامة والبروتين خاصة .

وهذه الأصناف تتعرض لمشكلات مقاومة الأمراض ، فتحتاج إلى

المبيدات ، وإلى كميات كبيرة من الأسمدة ، وإلى سقاية منتظمة . فإذا فقد أحد هذه العناصر فإنها تنتج أقل من الأصناف التقليدية . وقد انخفضت محاصيل القمح المكسيكي القزم المزروع في باكستان عام ١٩٦٨ بنسبة ٢٠٪ بسبب نقص في منسوب الأمطار وارتفاع درجة الحرارة . أما الفصائل المطورة محلياً فقد ازدادت محاصيلها بنسبة ١١٪ وكذلك فإن الذرة الصفراء الجديدة التي تزرع الآن في فولتا العليا بإفريقية أقل مقاومة للجفاف من الذرة المحلية .

وفضلاً عن هذا لا بد من شراء البذار العالي المردود لكل موسم ، ولأنه لو أعيد بذر الحبوب الناتجة عن الموسم السابق فإنها تفقد خاصيتها ، ويتدنى مردودها ؛ وبالتالي فإن هذه البذور تتطلب نفقات كبيرة ، ولا يقدر المزارعون الصغار على الاستفادة منها .

والحصول على البذار والأسمدة والمبيدات والعفّارات ذات الضغط العالي وغيرها من الأدوات يزيد من هيمنة الشركات المتعددة الجنسيات ومن ثرائها على حساب الدول الفقيرة .

وهكذا أدت الثورة الخضراء إلى زيادة الفروق بين المستثمرين الأغنياء والفقراء بشكل خطير . والأرباح الهائلة التي كسبها المزارعون الكبار القادرون على استعمال البذور الجديدة قد عمقت الفجوة بين مستوى معيشتهم ومستوى معيشة الفلاحين المتمسكين بأساليب الزراعة التقليدية .

وتبين عدة دراسات لمنظمة العمل الدولية أن فقراء الريف في جنوبي آسيا أصبحوا أسوأ حالاً ممّا كانوا عليه قبل عشر سنوات أو عشرين سنة ، مع أن إنتاج الحبوب قد ارتفع فيها :

ففي الفلبين ارتفع الإنتاج الزراعي بنسبة ٣ـ٤٪ سنوياً ، وأصبحت

خمس العائلات الريفية تعاني من انخفاض مستوى المعيشة . وفي عام ١٩٧٤ انخفضت أجور الزراعة اليومية الحقيقية إلى نحو ثلث ما كانت عليه عام ١٩٦٥ .

وفي بنغلاديش ازدادت نسبة العائلات الريفية المصنفة على أنها فقيرة فقراً مطلقاً بأكثر من الثلث ، والمصنفة على أنها بالغة الفقر خمسة أضعاف بين عامي ١٩٦٣ـ١٩٧٥ ، لكن ١٥٪ من العائلات الريفية تمتعت بدخول حقيقية أعلى بصورة ملحوظة .

وفي سري لانكا انخفض استهلاك الأرز بالنسبة للجميع بين عامي ١٩٦٣ـ١٩٧٣ عدا الطبقة التي تتمتع بأعلى دخل . وعانى كل العمال من انخفاض أجورهم الحقيقية عدا عمال الصناعة والتجارة الذين بقيت أجورهم الحقيقية ثابتة .

وذهبت الزيادة الفعلية في محاصيل كثير من الزراع الميسورين إلى المجموعات الحضرية ذات الدخل المتوسط والمرتفع ، وحوّل بعضه إلى منتجات ترفية خاصة بالأغنياء ، وبعضه يستخدم غذاء للماشية لإنتاج اللحم الذي لا يستطيع شراءه أغلبية السكان المحليين ، وبعض الأنواع يصدر للخارج[١] .

ولقد صرح جاجيفان وزير الزراعة السابق في الهند أن المستفيدين من الثورة الخضراء في بلاده ليسوا الفلاحين ، بل الطبقة الصغيرة الممتازة لملاك الأراضي الكبار ، وهم لا يتجاوزون ٤٪ من ملاك الأراضي ، ويتمتعون بالنفوذ والسلطة السياسية ، ويستطيعون تملك جميع وسائل الإنتاج والاستفادة من كامل المعونة والاعتمادات الممنوحة من الوكالات الحكومية ، والخدمات التي يقدمها وكلاء الإرشاد الزراعي .

---

(١) صناعة الجوع ، ص : ١٥٥ ، ١٦٩ـ١٧٠ .

وحيثما طبقت الثورة الخضراء لم تعد الزراعة تعد وسيلة لإطعام الشعب ، بل استثماراً مربحاً . وقد ارتفع ثمن الأرض بمعدل خمسة أضعاف في بعض مناطق باكستان التي أدخلت فيها الثورة الخضراء ، لأن الملاك الكبار يتسابقون لحيازة الأراضي التي طرد منها الفلاحون ، ولأن مقرضي النقود والضباط العسكريين وكبار الموظفين والهيئات الأجنبية وجدوا في الأراضي الزراعية وسيلة لكسب الثروة[1] .

### ٤ـ الشركات الزراعية :

ومما زاد في المأساة تغلغل الشركات الزراعية في العالم بأسره ، وربط مزارع البلدان المتخلفة بأسواق الغذاء العالمية ، فأصبح على جياع العالم أن ينافسوا حسني التغذية والمتخمين للحصول على الطعام .

وهذه الشركات تهتم بزيادة المحاصيل الترفية كالخيار والفراولة والأسبرجس والطماطم والأناناس والمانجو ولحم البقر والدجاج والزهور ، أكثر من الأغذية الأساسية التي يحتاجها الجياع كالفول والذرة والأرز والقمح والشوفان . وتهتم بالتسويق أكثر من الإنتاج ، فهي تبحث عن المستهلكين الميسورين في عواصم العالم ، وتقدم إليهم ما يطلبون ، وتغريهم بشراء بضائعها ، وتجني من ذلك الأرباح الضخمة . ومثال ذلك أن ثمرة الأناناس التي لا تساوي أكثر من ثمانية سنتات في الفلبين ، تصدر إلى طوكيو لتباع بقيمة ١,٥ دولار ، أي إن شركات التصدير تحصل على الثمن مضاعفاً نحو عشرين مرة .

وقد تم تحويل المكسيك وغيرها من بلدان أمريكا الوسطى من الزراعة للإنتاج المحلي إلى إنتاج الفواكه والخضراوات التي تصدر إلى الولايات

---

(١) كيف يموت النصف الآخر من العالم ، ص١٤٧ ـ ١٧٦ .

المتحدة ، حتى أصبح ٦٥٪ على الأقل من الفواكه والخضراوات المنتجة للتصدير تلقى في القمامة ، أو تستخدم غذاء للماشية ، لأنها تواجه سوقاً متخمة في الولايات المتحدة ، أو لا تستوفي المعايير الجمالية للمستهلكين فيها ؛ بينما يعجز الناس عن شرائها في الوطن بسبب فقرهم .

ثم شرعت هذه الشركات تربي الأبقار لإنتاج اللحم في الدومينيكان وأمريكا الوسطى ، ليصدر إلى الولايات المتحدة ويباع في مطاعم الهامبرغر . وسعت الشركات الكبرى للاستيلاء على مساحات شاسعة من الأرض في إفريقية الاستوائية لإنتاج الخضراوات في الشتاء ، وبيعها في أسواق أوربا وغيرها ، أو إنتاج العلف وتربية الماشية للتصدير ، بينما يترك أصحاب الأرض وقطعانهم من الماشية يموتون جوعاً .

وكذلك تم تشجيع تربية الدجاج في البلدان المتخلفة وزراعة محاصيل العلف اللازمة لإنتاج الفراريج والبيض ، ولم يكن هذا لتوفير مصدر رخيص للبروتين ، وإنما لزيادة أرباح شركات العلف . وبالعكس فإنه أدى إلى نقص البروتين النباتي الذي كان يحصل عليه الفقراء ؛ إذ إن فداناً من الأرض إذا زرع بمحاصيل العلف للدواجن لا يقدم سوى ثلث كمية البروتين التي يقدمها حين يزرع بالذرة أو الفول . وإذا زرع بفول الصويا للاستهلاك البشري فإنه يقدم ستة عشر ضعف البروتين الذي ينتج حين علف الدجاج به . وتكلف دستة البيض في كولومبيا أكثر من مكسب أسبوع كامل لأكثر من ربع السكان ، على أساس إحصائيات الحكومة عام ١٩٧٠ . وهناك دلائل على أن الفجوة البروتينية فيها تنمو أسرع بثماني مرات من نمو السكان .

ثم اتجهت الشركات الزراعية لإنتاج الأزهار ومحاصيل الزينة في

البلدان المتخلفة ، إذ إن الهكتار المزروع بأزهار القرنفل في كولومبيا يحقق ربحاً في السنة مقداره مليون بيسو ، أما إذا زرع بالقمح أو الذرة فلا يزيد ربحه على / ١٢٥٠٠/ بيسو .

وإذا تعذر على الشركات الزراعية أن تحصل على الملكية المباشرة للأرض ، أو رأت ذلك يكلف المال الكثير ويثير التمرد ، فإنها تتحول إلى الزراعة التعاقدية ، وتجعل المنتجين المحليين يوقعون عقداً يلزمهم باستخدام معدات معينة ، لإنتاج كمية متفق عليها من منتجات معينة ، مع تحديد السعر وتاريخ التسليم للشركة . وبديهي أنها تحتفظ بالسيطرة التي تتطلبها ، وتتحكم في أسعار السلع الأولية ، وتحتكر لوازم المنتجين .

ومثال ذلك أن شركة نسلة حصلت على الكاكاو من غانا عام ١٩٧٤ بسعر ١١٣٥ دولار للطن ، بينما كان سعره العالمي ٢١٦٣ ، ودفعت لساحل العاج ٣٩٣ دولار ثمن الطن من البن ، وهو أقل من ثلث السعر العالمي ، ودفعت لمنتجي السكر نسبة ٥٧٪ من السعر الجاري . وفوق ذلك فإنها تحسم من مدفوعاتها جزءاً لوفاء القروض الربوية التي قدمتها إلى المزارعين .

وقد بدأت الزراعة التعاقدية في الولايات المتحدة في أواخر الخمسينات ، وارتفعت نسبة إنتاج الدجاج الخاضعة فيها للعقود من ٤٪ إلى ٩٢٪ خلال عشر سنوات . وفي المملكة المتحدة تسيطر أربع عشرة شركة غذائية على الأسواق سيطرة محكمة ، وتتجاوز أرباحها السنوية مئة مليون جنيه إسترليني . وكذلك تبسط الشركات الزراعية أيديها على العالم كله لتكسب كل ما فيه من خيرات ، وتترك الناس يعانون من الفاقة والجوع .

وهكذا يبدو أن الشركات الأجنبية في زراعة بلد متخلف ليست عوناً

للجياع والمعدمين والزراع الصغار ، بل إنها تسخر الموارد الطبيعية مثل الأرض والمياه ، والموارد البشرية لجني الأرباح . وليس الجياع هم الذين يأكلون الغذاء إذا كان هو الذي يُزرع . وفرص العمل أمامهم قليلة وموسمية وغير مضمونة ، وأجورهم لا تكفي لسد رمقهم . وهذا لأن الأغذية التي كانت رخيصة نسبياً تصبح تجارية بأسعار لا يقدرون عليها .

وقد أعلن الاتحاد الدولي لعمال التغذية الذي يضم ١٢٥ نقابة وطنية ، ويبلغ عدد أعضائه /١٢٠٠٠٠٠/ عضو أن الشركات الزراعية الغذائية تتحمل مسؤولية كبيرة في الأزمة الغذائية ، لأنه في الحين الذي زادت فيه خطورة نقص الغذاء وسوء التغذية ارتفع معدل النمو المتسارع . وازدهار الشركات المتعددة الجنسيات .

وهكذا يبدو أن هدفها ليس زيادة الموارد الغذائية ولا الإسهام في توزيعها العادل ، وإنما هو توسيع الأسواق والمنافذ التجارية ، وتخفيض تكاليف الإنتاج إلى أدنى حد ممكن وزيادة الأرباح .

والعمال الذين يعملون في هذه الشركات ألفوا الجوع وسوء التغذية ، وهم يعانون من انخفاض الأجور واعتلال الصحة وشروط العمل القاسية والمساكن الحقيرة .

وعملت شركات الغذاء على تغيير الوجبات التقليدية مثل الفول والذرة في أمريكا اللاتينية ، والعدس والأرز في الهند ، وفول الصويا والأرز في الصين . وتقديم الأغذية السريعة والمجمدة والمعلبات والمشروبات الغازية والفورية الإعداد بدلاً عنها . وهي تعتمد على الدعاية الواسعة لزيادة مبيعاتها من الأصناف المصنعة وكسب الأرباح الكثيرة . وبذلك زاد استهلاك المشروبات الغازية ( الكولا ) في الولايات المتحدة بمعدل ٧٩٪ بين عامي ١٩٥٩ـ١٩٧٠ ، بينما نقص استهلاك الحليب بمعدل ٢٠٪ ،

وارتفع معدل استهلاك المنتجات التجارية للمخابز ( شرائح الخبز والمعجنات ) بمعدل ٦٧٪ ، وانخفض استهلاك البطاطا والخضار والبطيخ والفواكه أكثر من ٢٠٪ ، وزاد استهلاك البوظة بمعدل ٢٩٪ والبطاطا المقلية المحمرة بمعدل ٨٥٪ ومشروبات عصير الفواكه بمعدل ٧٥٪ مع أنه ليس فيها فواكه بل روائح صناعية . واستطاعت هذه الشركات أن تغير العادات الغذائية في القرى المكسيكية ، فأصبح الفلاحون يرغبون في الخبز الأبيض والمشروبات الغازية بعد أن تأثروا بالإعلانات الدعائية .

ونتيجة للدعاية المكثفة فإن العائلات الفقيرة تقدم على شراء منتجات غذائية معينة مرتفعة الثمن ، حتى تجعل أطفالها أصحاء معافين! مع أنها في الحقيقة أقل قيمة غذائية من الأغذية التقليدية ، أو ليس لها أي قيمة ؛ حتى إن بعض البنغاليين يشترون لأولادهم أطعمة معالجة بالمواد الكيميائية من السوق السوداء بأسعار باهظة بدلاً من حليب البقر الذي هو أرخص ثمناً وأكثر نفعاً بكثير . وبعض الأمهات في ساحل العاج يعطين أولادهن الذين لم تتجاوز أعمارهم عشرين شهراً نسكافيه ، لأنهن تأثرن بدعاية المذياع المتكررة : نسكافيه تجعل الرجل أقوى والنساء أكثر سروراً والأطفال أكثر ذكاء .

وأسهمت الشركات التي تروج أغذية الأطفال في البلدان المتخلفة في سوء تغذية حاد وزيادة ملحوظة في وفيات الأطفال ، بدلاً من المساعدة على تغذيتهم ، ويبلغ معدل الوفاة بين الأطفال الذين يتغذون على الرضاعة الصناعية في هذه البلدان ضعف المعدل بين الذين يتغذون بالرضاعة الطبيعية . ونقص التغذية هو أقل حدوثاً بين الأطفال الذين يرضعون من الثدي ، من الذين لم يرضعوا على الإطلاق أو أرضعوا لأوقات محدودة[1] .

---

(١) صناعة الجوع : ٢٩٢ـ٣٣٩ ، ٣٤٣ـ٣٦٧ ، ٣٦٩ـ٣٨٥ ، كيف يموت النصف =

## ٥ـ المعونة الغذائية :

وما المعونة الغذائية التي تقدمها بعض الدول الغنية ـ وخاصة الولايات المتحدة ـ إلا سلاح لزيادة المنافع الاقتصادية وتحقيق الأهداف السياسية .

ويعد هربرت هوفر أول سياسي عصري يعتبر الغذاء سلاحاً أكثر فعالية من البوارج الحربية أو التدخل العسكري ، ووسيلة لإسناد السوق الزراعية الأمريكية . وقد أسس بعد أن أصبح رئيساً للولايات المتحدة حين انفجار الحرب العالمية الثانية عدداً من الوكالات للمعونة الغذائية من أجل بعض الدول الأوربية ، ثم دمجها تحت اسم اللجنة الدولية للتغذية من أجل الديمقراطيات الصغيرة . لكن الحكومة البريطانية عارضت في وصول المنتجات الغذائية إلى البلدان التي احتلها الألمان ؛ فانتظر هوفر حتى انتهاء الحرب ، وقدم معونات أسهمت في التخفيف من آثار الحرب والحد من انتشار الشيوعية .

وكان منهج هوفر يقوم على بيع الفوائض الغذائية مقابل الذهب أو العملات القوية ، واستعمال جزء من حصائلها في مساعدة الأشخاص المعدمين والسيئي التغذية . وفي عام ١٩٥٤ تم إعادة تعمير أوربا ، وأغرقت الأسواق بالفوائض الغذائية ، وكانت معظم العملات العالمية غير قوية ؛ فقرر الأمريكيون أن يبيعوا فوائضهم الغذائية بالعملات المحلية غير القابلة للتمويل . وكان الثمن يودع لحساب أمريكا في المصرف المركزي للبلد المستورد ، ويستعمل لتحقيق الأهداف السياسية للولايات المتحدة في ذلك البلد . ونظم ذلك بالقانون / ٤٨٠/ المسمى قانون الغذاء

---

= الآخر : ٢٢٧ـ٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ـ٢٥٧ .

من أجل السلام . وقد صرح الكونغرس أن أحد أهداف ذلك القانون هو تطوير وتنمية أسواق التصدير للمنتجات الأمريكية . وبالفعل أدى هذا القانون إلى بيع الفائض الغذائي المتراكم في الولايات المتحدة ، وأوجد أسواقاً تجارية لها . ثم عدل القانون عام ١٩٦٦ وأصبحت المبيعات بالتدريج بالعملة الصعبة ، لتغطية العجز في ميزان المدفوعات الأمريكي .

ويسمح هذا القانون بمنح قروض للشركات الأمريكية التي تريد الاستقرار في الخارج ، وبهذا تستعمل أموال الحسابات المجمدة في تلك البلدان لشراء الأراضي والمواد واستخدام اليد العاملة اللازمة لبناء المعامل من أجل تطوير الأعمال وتوسيع التجارة ونمو الأسواق للمنتجات الأمريكية . وأدى شراء الأغذية بالعملة الوطنية إلى توفير الدولارات لاستيراد السلع الرأسمالية الأمريكية للتصنيع الخفيف ؛ وهذا مما يزيد الاعتماد على المنتجات الزراعية الأمريكية ، كما سهَّل استيراد الآلات الزراعية والبذور العالية المردود والأسمدة والمبيدات ، وساعد على توسيع الاستثمار الخاص ، وتخصيص قسم من أثمان المبيعات للجيش والشرطة . لكن قانون المساعدة الخارجية عدل عام ١٩٧٣ ، بحيث حظر استعمال الأموال في النفقات العسكرية إلا بتفويض خاص من الكونغرس . وما زالت الاعتمادات للمعونة الغذائية تمنح في الغالب للبلدان التي للولايات المتحدة فيها مصلحة سياسية وعسكرية .

## السوق الأوربية المشتركة والمعونة الغذائية :

بدأ برنامج السوق الأوربية المشتركة للمعونة الغذائية عام ١٩٦٧ ، وبحلول عام ١٩٧٨ أصبح أكبر مانح للمعونة الغذائية في العالم . وأوضحت السوق المشتركة للأوربيين أنهم هم أكبر المستفيدين ، لأن هذه المعونة وسيلة للتخلص من السلع الفائضة . وقد أنفقت هذه البلدان

عام ١٩٧٤ مبلغ ٢٢٥ مليون فرنك لتسحب من السوق وتتلف الفواكه والخضار التي من شأنها أن تخفض الأسعار .

وأدت هذه المعونة إلى اعتياد تناول الأغذية المقدمة ؛ فأدت معونة القمح لسريلانكا إلى جعل أهلها يتناولون الخبز بدلاً من الأرز وهو الغذاء التقليدي ، ومثل هذا حدث في تايوان وكوريا الجنوبية . وأدى تقديم الزبد ومسحوق اللبن المنزوع الدسم إلى الهند وبنغلاديش لإعادة عمل اللبن وبيعه فيها إلى الإضرار بمنتجي اللبن المحليين . وأدت المعونة الغذائية التي تلقتها بنغلاديش وأمثالها من البلدان إلى قلة الاهتمام بزيادة إنتاجها من الحبوب الغذائية ، ومنع الطبقة المتوسطة من سكان المدن من التمرد على الحكومات المستبدة .

وأدت المعونة الغذائية الأمريكية لكوريا الجنوبية إلى انخفاض عدد السكان الريفيين فيها من نصف إجمالي السكان إلى نحو الثلث بين عامي ١٩٦٣ـ١٩٧٦ ؛ لأن الأسعار التي كانت الحكومة تدفعها لمنتجي الأرز ثمناً له أدنى من تكاليف الزراعة . فأصبح الفلاحون يبحثون عن عمل في المدن ، مما هيأ للشركات متعددة الجنسية التي تسيطر على الاقتصاد الكوري قوة عمل منخفضة الأجر .

وأدت إلى انخفاض إنتاج كولومبيا للقمح بين عامي ١٩٥٥ و١٩٧٠ بنسبة ٦٩٪ واستوردت خلال تلك الأعوام أكثر من مليون طن من القمح الذي يمكن إنتاجه بتكلفة أرخص محلياً . وأصبحت وارداتها تمثل ٩٠٪ من الاستهلاك المحلي . وكان تأثير المعونة على بوليفيا مماثلاً . وحين أوقفت الولايات المتحدة الدفع بالعملة المحلية بقيت تعتمد عليها في وارداتها مع إمكانياتها الزراعية الكبيرة وبطالة الريفيين العالية ؛ فركد إنتاج القمح المحلي ، وتحول الطحانون إلى شركات لاستيراد الدقيق ، لأنهم وجدوا ذلك أكثر ربحاً من الطحن .

وهكذا أدى إغراق البلدان المتخلفة بكميات كبيرة من القمح الرخيص إلى عجز المنتجين المحليين عن الحصول على ثمن مناسب لقمحهم ، فاضطروا إلى بيع أراضيهم ، وأصبحوا عمالاً معدمين . وقد استنتج تقرير عام ١٩٧٥ للحكومة الأمريكية أن المساعدات الغذائية قد عاقت البلدان النامية عن توسيع إنتاجها الغذائي ، وبذلك أسهمت في الوضع الغذائي العالمي الحرج .

ولا بد من أن يعرف الجياع أن مانحي الغذاء الغربيين لا يمكن أبداً أن يكونوا مصدراً للأمن الغذائي ، وأن الحكومات الغربية تستخدم فوائضها الغذائية للمساعدة على توسيع أسواقها التجارية ومساعدة الشركات الزراعية ، ومساندة الأنظمة التي تزيد في بؤسهم ، وتوجيه القرارات السياسية في الحكومات المحتاجة بما ينسجم مع السياسة الخارجية الأمريكية وأهدافها العسكرية[١] .

### ٦ـ الديون الخارجية :

وأكثر من نصف ما يسمى معونة يكون بصورة قرض بفائدة . وقد أصبحت الديون الخارجية عبئاً غير محتمل على الدول المتخلفة ، وتضاعفت أكثر من أربعة أضعاف بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٦ ، وبلغت ١٨٠ مليار دولار ، وتبلغ فوائدها السنوية ١٣ مليار دولار .

وأصبحت أقساط خدمة الديون ترتفع باستمرار بمعدل أسرع مرتين من مكاسب التصدير التي تجلب العملة الأجنبية لوفائها . وبالتالي فإن هذه القروض هي العقبة التي تعترض طريق الاعتماد على النفس ، وهي التي تقضم جزءاً متزايداً من موارد التنمية[٢] .

---

(١) كيف يموت النصف الآخر : ٢٦١ ـ ٢٨٨ ، ٣٣٠ ، صناعة الجوع : ٤٣٤ـ٤٦٤ .
(٢) صناعة الجوع : ٣٩٩ـ٤٠١ ، كيف يموت النصف الآخر : ٣٤٣ .

### ٧ـ المصرف الدولي لإعادة التعمير والتنمية :

والمصرف الدولي الذي بزغ بسرعة كأكبر مؤسسة لتمويل التنمية أخفق في مساعدة الفقراء ، وبالعكس قدم قروضاً وتسهيلات لكبار المزارعين ، وزاد في بؤس المعدمين الذين لا يملكون شبراً من الأرض ، والذين ليس لديهم ضمانات تؤهلهم للحصول على قرض منه . وهو يسعى لتقليل المخاطرة بتقديم القروض للذين لديهم فرص استثمار كافية لإنتاج فائض تسويقي معقول ، ويقدم قروضاً للمحاصيل غير الغذائية ليضمن فائضاً تسويقياً ، كما أنه يقدم قروضاً للمزارع التي تربي الماشية وتنتج اللحوم . وفي عام ١٩٧٥ بلغت قروض الماشية نحو ثلث مشروعات القروض كلها ، وأكثر من ٧٠٪ من قيمتها لأمريكا اللاتينية . وفي عام ١٩٧٨ خصص أكبر قرض منفرد للتنمية الزراعية والريفية ، وقيمته ٢٠٠ مليون دولار لإنتاج الماشية في المكسيك ، وخصص نحو خمسين مليون دولار لإعادة بناء معامل تكرير السكر في أندونيسيا ؛ وأُجبر الزراع التعساء على زراعة القصب تحت تهديد البنادق ، لأن باستطاعتهم أن يكسبوا الضعف بزراعة الأرز بدلاً منه .

وقدم المصرف العالمي والشركة المالية الدولية تسعة ملايين دولار لإنتاج السكر في إثيوبيا بالتعاون مع شركة زراعية هولندية . وأصبحت هذه الشركة عام ١٩٧٠ تشرف على أكثر من خمس المساحة المزروعة من وادي أواش ، وكانت مناطق أخرى من هذا الوادي تشغلها مؤسسات أجنبية . وفي عام ١٩٧٣ أصابت إثيوبيا مجاعة عامة ضربت بشكل خاص القبائل نصف الرحل من شعب عفار الذين تتوقف حياتهم على الحيوانات ، وهلك نحو مئة ألف منهم بسبب منعهم من الرعي في ذلك الوادي . وكانت التفسيرات الرسمية لهذه الكارثة هي الجفاف والإسراف

في الرعي . والعفاريون الذين بقوا أحياء وتمكنوا من سقي مواشيهم من مياه نهر أواش فقدوا قسماً آخر منها بسبب التسمم بالفضلات التي طرحها المصنع فيه .

ولم يحسن إنتاج السكر من ميزان المدفوعات الأثيوبي لأن جميع تجهيزاته كانت مستوردة ، ويعمل بشكل آلي دون حاجة إلى كثير من الأيدي العاملة . وقد خرجت أرباحه التي تبلغ ثمانية أضعاف أجور العمال الأثيوبيين .

وانتهزت الشركة الهولندية فرصة موت قطعان الماشية بالتخطيط لإقامة مزرعة لتسمين خمسين ألف رأس من البقر في السنة ، بتغذيتها بالمنتجات الثانوية لمصنع السكر والذرة .

وخلال خمس وعشرين سنة قدم المصرف اعتمادات لمشاريع ضخمة من البنى التحتية كالسدود ، ومعظمها أنشىء في البلدان المتخلفة ، ولكن لم تكن كلها مفيدة كما صرح ماكنمادا رئيس المصرف ، لأنها لم تكمل التجهيزات النهائية للري . والشيء المفيد فيها أنها أتاحت العمل لشركات البناء الأجنبية ولتوريد المعدات والآليات الثقيلة[1] . وثلاثة أرباع قروض المصرف الدولي تذهب إلى التنمية التجارية : القوى الكهربائية والسكك الحديدية والطرق والفنادق والموانىء والاتصالات عن بعد والتعدين ومنشآت التصنيع ، وهذه الاستثمارات هي ما تحتاجه مجموعات النخبة المحلية والشركات الأجنبية لجعل استثماراتها مربحة .

ثم إن مشروعات المصرف تتطلب أن تسهم الحكومة المحلية بمبالغ تتراوح بين ٢٠ , ٦٠٪ من تكاليف المشروعات . ووفاء الديون المتراكمة

---

(١) كيف يموت النصف الآخر : ٣٢٤ـ٣٢٥ ، ٣٣٠ـ٣٣٢ .

يجعل البلد تحت ضغط كبير لتوجيه كل مجالات الاقتصاد نحو التصدير ، ويمنعها من بناء أساس للاعتماد على النفس . وأصبح المصرف الدولي قوة رئيسة تشكل السياسات الاقتصادية لعديد من البلدان .

وهكذا تؤدي برامج المصرف الدولي إلى زيادة حرمان الفقراء الذين تزعم أنها تساعدهم[1] .

## ٨ـ الأمم المتحدة :

تضم هيئة الأمم المتحدة عدداً من المنظمات المعنية بالتنمية مثل : منظمة التربية والعلوم والثقافة ( يونيسكو ) ومنظمة الصحة العالمية ، ومنظمة التنمية الصناعية ، ومنظمة الأغذية والزراعة ( فاو ) وبرنامج التنمية . وتتعاون مع المصرف الدولي للإعمار والتنمية ، وتشرف على استعمال مبالغ ضخمة من الأموال مخصصة للتنمية . وتشير منشوراتها إلى أن ٨٥٪ من مواردها البشرية والمالية مخصصة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . وأعلن المؤتمر العالمي للتغذية الذي انعقد بإشراف الأمم المتحدة في روما مقر منظمة الأغذية والزراعة أن الأزمة الغذائية هي أخطر من جميع الأزمات الدولية التي يجب إيجاد حل لها .

ولكن الواقع العملي يدل على أن هذه المنظمة توجد فرص الاستثمار أمام الشركات متعددة الجنسية والمصارف الممولة ، إذ إنها تستشير رؤساء هذه الشركات في المشاريع التي تزمع القيام بها ؛ بالتالي فإنها تحقق المصالح الغربية . كيف لا وهي التي تخطط للبرامج وتقدم الأموال وتسعى لتطبيقها! وبذلك تزيد واردات الدول المتخلفة من الآلات والأسمدة والمبيدات والبذور المهجنة .

---

(١) صناعة الجوع : ٤٠٢ـ٤٣٢ .

وأدت مشاريع الأمم المتحدة في التنمية إلى إثراء المزارع الكبير ، لأنه هو القادر على زيادة إنتاجه من المحاصيل المطلوبة ، ولم تسهم في رفع مستوى المزارعين الصغار ، لأنهم لا يستطيعون أن ينتجوا للشركات الزراعية الغذائية الكبرى المحاصيل المعينة بالكمية والنوعية المحددة . وكلما قل عدد المنتجين كان أفضل لسهولة التعامل معهم .

واقتصرت مشاريعها على محاصيل التصدير والصناعة الغذائية ، بدلاً من إنتاج المحاصيل الأساسية التي يتغذى بها الفقراء . واهتمت بالإنتاج دون النظر إلى الذين سيستهلكونه ، وهل هم الأغنياء أم المساكين؟ وللبشر أم الحيوانات ، والأوربيون والأمريكيون أم قططهم وكلابهم المدللة؟ فالمهم هو زيادة الإنتاج .

ومن الطريف أنها وجهت بعثة إلى أثيوبيا في أوائل عام ١٩٧٤ لتدرس إمكانية إنتاج اللحم فيها ، وكان غرضها الأساسي هو إطعام الحيوانات المنزلية ( الكلاب والقطط ) في البلدان المصنعة . وكان ممثلو الشركات البريطانية لأغذية الحيوانات المنزلية من ضمن هذه البعثة . وفيما كانت البعثة تقوم بتحرياتها كان مئة ألف أثيوبي على الأقل يعانون من المجاعة أو ماتوا من الجوع![1] .

* * *

(١) كيف يموت النصف الآخر من العالم ص : ٢٨٩-٣١٩ .

obeikandl.com

# الفصل الثالث

## تحقيق الإسلام للأمن الغذائي

لقد عدَّ الإسلام الطعام حاجة أساسية لكل إنسان . وامتن الله ـ تبارك وتعالى ـ على قريش بأن جعل لهم حرماً آمناً يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم ، ورزقهم من الثمرات فقال : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش : ٣ـ٤] .

وما الجوع إلا عقاب من الله تعالى ينزله بالكفار جزاء فعلهم :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١) [النحل : ١١٢] .

أو ابتلاء منه لعباده : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥ـ١٥٦] .

وعدّ النبي ﷺ الفقر والجوع شراً يستعاذ منه ، فكان يقول في دعائه :

---

(١) رغداً: واسعاً .

« اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذِّلة ، وأعوذ بك أن أَظْلِم أو أُظلَم »[1].

« اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة »[2].

وحقق الإسلام الأمن الغذائي بعدة وسائل :

إذ حث على إنتاج المواد الغذائية ، وربى الناس على القناعة والزهد والعفاف ، وأمر بتحقيق العدالة الاجتماعية ، وبتقديم الطعام إلى كل جائع . ونهى عن كل ما يؤدي إلى الاستغلال والحرمان والتضييق على الناس في معاشهم .

## ١ـ إنتاج المواد الغذائية :

جعل الله ـ عز وجل ـ الأرض مسخرة للناس ، مهيَّأة لإنتاج ما يكفيهم من الغذاء : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [المُلك : ١٥] .

وحث النبي ﷺ على غرس الأشجار المثمرة وزرع الزروع النافعة للإنسان والحيوان فقال : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » . ( رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس ) .

وحث على إحياء الموات ، أي الأرض المهملة التي لم تدخل في ملكية أحد ، ولا ينتفع منها أحد ؛ بأن جعل تلك الأرض ملكاً لمن يقوم

---

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه ، عن أبي هريرة ، وإسناده حسن .
(٢) رواه أبو داود والنسائي عن أبي هريرة ، وهو حديث حسن صحيح .

بزرعها أو غرس الأشجار فيها ، أو الانتفاع بها على الوجه المشروع :

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال :

« من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها » [١].

وفي رواية : « من أحيا أرضاً ميتةً فهي له ، وليس لعِرق ظالمٍ حق » [٢].

ونهى الزعماء والأمراء عن الاستيلاء على مساحات شاسعة من الأرض ، وجعلها محمية لهم ، وتخصيصها لرعي مواشيهم . ولم يجعل ذلك مباحاً إلا لتحقيق المصلحة العامة ؛ كأن تعد بعض الأراضي التي لا يملكها أحد لإقامة المشاريع التي تعود بالنفع على الأمة كلها ، أو تخصص لرعي السائمة التي جمعت زكاة ريثما يتم توزيعها على المستحقين لها :

عن الصعب بن جَثَّامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « لا حِمى إلا لله ولرسوله » [٣].

ورغّب أصحاب الأراضي الواسعة في تقديم قطعة منها من دون مقابل إلى المزارعين الذين لا يملكون أرضاً ليزرعوها ؛ فذلك أفضل وأعظم أجراً من أخذ أجرة عليها أو مزارعتها على نسبة معينة من المحصول :

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« لأن يمنح أحدكم أرضه خير من أن يأخذ عليها خراجاً[٤] معلوماً » .

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي .

(٢) رواه الطبراني والبيهقي وإسحاق بن راهويه عن عمرو بن عوف ، وإسناده ضعيف .

(٣) رواه البخاري وأبو داود .

(٤) أي أجرة .

وعنه أن النبي ﷺ قال : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ، فإن أبى فليمسك أرضه »[1] .

وبذلك تصبح الأرض الزراعية في متناول يد كل مزارع ؛ وهي إما أن تكون مملوكة له ، أو كانت مواتاً فأحياها فأصبح مالكاً لها ، أو ممنوحة له من غيره ابتغاء وجه الله ، أو مستأجرة بأجرة مناسبة لا ترهقه في شيء ، أو يزرعها ويعطي مالكها نسبة معينة من المحصول من دون إجحاف بواحد منهما .

وكذلك رغب النبي ﷺ في تربية المواشي والدواجن التي ينتفع الناس بلحومها وألبانها وبيضها ، وبين أنهم يثابون على تقديم العلف والماء إليها : « . . قالوا : يا رسول الله! وإن لنا في البهائم لأجراً؟ قال : في كل ذات كبد رطبة أجر »[2] .

وجعل الأعشاب الطبيعية والمياه النازلة من السماء والجارية في الوديان والأنهار أو المستقرة في البحار والمحيطات ملكاً عاماً لسائر المسلمين ، ولكل واحد منهم الانتفاع بها دون الإضرار بغيره :

« المسلمون شركاء في ثلاث : الماء والكلأ[3] والنار »[4] .

ولا يجوز لأصحاب المزارع أن يمنعوا أصحاب المواشي من سقيها بالماء الزائد عن حاجتهم ، أو يمنعوهم من رعي الكلأ النابت في مزارعهم :

---

(١) رواهما البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .
(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة . وسبق ذكره بتمامه في الفصل الرابع .
(٣) الكلأ : العشب رطباً أو يابساً .
(٤) رواه أبو داود .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ »[1] .

ولكن على أصحاب المواشي أن يكونوا يقظين ويمنعوا ماشيتهم من إتلاف شيء من المزروعات أو قضم شيء من الأشجار . ويستحب أن يقدموا شيئاً من اللبن ومنتجاته لأصحاب تلك المزارع ، ولمن يشهد ورودها الماء .

ولا مانع من أن يطلب أصحاب المياه شيئاً من المال من الذين يسقون بها ماشيتهم أو زروعهم إذا كانت تضخ بكلفة ، أو أن يقوموا بإجارة مزارعهم لأصحاب الماشية لترعى فيها بقايا الزروع والخضراوات . وبذلك يتحقق التعاون بين أصحاب المزارع وأصحاب الماشية ، ويستفيد الأولون من حصول الأرض على السماد الطبيعي ، والآخرون من الحصول على الماء والكلأ لمواشيهم .

وفي الحين الذي كان فيه الأشراف يأنفون من القيام بالأعمال اليدوية ، وكان فيه التجار يحتقرون العاملين في الزراعة وسائر الحرف ، رغب النبي ﷺ في العمل النافع ، وحث كل إنسان على إنتاج ما يكفيه وكسب ما يحتاج إليه والأكل من عمل يده ، وحذره من أن يقعد عن العمل وكسب الرزق ، ويعيش عالة على غيره . وبين أن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الذين جعلهم الله ـ عز وجل ـ قدوة للناس كانوا يأكلون من عمل أيديهم :

عن المقدام ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « ما أكل أحد طعاماً

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

قط خيراً من أن يأكل من عمل يده . وإن نبي الله داود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده » [1] .

وبذلك يصبح كل إنسان قادر مكلفاً بالعمل والإنتاج ، وتصبح مصادر إنتاج الغذاء النباتي والحيواني متاحة للجميع . وهذه هي الوسيلة الأولى في تحقيق الأمن الغذائي .

**٢ـ تربية الناس على القناعة والزهد والعفاف! :**

فلا نجد نظاماً قادراً على تحقيقها سوى الإسلام .

فقد نظر هذا الدين إلى المال على أنه وسيلة للحياة وليس غاية ، ومحله اليد وليس القلب . وما قل وكفى خير مما كثر وألهى . وجعل الغنى يتحقق بالعفة والقناعة وليس بكثرة المال :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض[2] ، ولكن الغنى غنى النفس » [3] .

وحث على الزهد والرضا بالكفاف من العيش ، وحذر من انفتاح الدنيا وكثرة المال ، وشبه المال بالفاكهة اللذيذة والبقول الشهية التي تضر بمن يكثر منها ، وبالمرعى الخصيب الذي يقتل الدابة التي تكثر منه :

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : « قال رسول الله ﷺ : إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض . قيل : وما بركات الأرض؟ قال : زهرة الدنيا[4] . فقال له رجل : هل يأتي الخير بالشر؟ .

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه .
(٢) العَرَض : ما ينتفع به من المتاع سوى النقود .
(٣) متفق عليه .
(٤) أي متاعها وزخرفها .

فصمت النبي ﷺ حتى ظننا أنه يُنزل عليه ، ثم جعل يمسح عن جبينه فقال : أين السائل؟ قال : أنا .

قال أبو سعيد : لقد حمدناه حين طلع ذلك .

قال : لا يأتي الخير إلا بالخير . إن هذا المال خَضِرَة حُلوة[١] وإن كل ما أنبت الربيع[٢] يقتل حبطاً[٣] أو يُلم[٤] ، إلا آكلة الخَضِرة[٥] ، أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت[٦] وبالت ، ثم عادت وأكلت . وإن هذا المال حلوة ، فمن أخذه بحقه ، ووضعه في حقه ، فنعم المعونة هو . ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع »[٧].

وبين أن الكفاية من الرزق والقناعة به تؤدي إلى الفوز والفلاح فقال : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً ، وقنعه الله بما آتاه »[٨].

وبإمكان الإنسان أن ينقص من طعامه ، ويكتفي بنصفه ليشارك فيه الآخرين :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال :

---

(١) كالبقول الخضر اليانعة والفاكهة الحلوة المذاق .
(٢) الجدول الصغير .
(٣) الحبط : انتفاخ البطن من كثرة الأكل ، يقال حبطت الدابة إذا أصابت مرعى طيباً فأمعنت في الأكل حتى تنتفخ وتموت .
(٤) يقرب من الهلاك .
(٥) نوع من الكلأ تحبه الماشية وتستكثر منه .
(٦) أخرجت ما في بطنها من الزبل والروث والبعر .
(٧) متفق عليه .
(٨) رواه مسلم والترمذي .

« طعام الاثنين كافي الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافي الأربعة » [١] .

وفي رواية : « طعام الواحد يكفي الاثنين ، وطعام الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي الثمانية » [٢] .

وأمر كل إنسان بأن يعتمد على نفسه في الكسب ، ونهى القادر على العمل ومن عنده قوت يومه عن السؤال :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً ، فيعطيه أو يمنعه » [٣] .

ونفّر من المسألة بقوله : « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزعة لحم » [٤] .

وربى أصحابه على العفة والقناعة :

عن حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ قال : « سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني . ثم قال : يا حكيم إن هذا المال خَضِرة حُلوة [٥] . فمن أخذه بسخاوة نفس [٦] بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس [٧] لم يبارك له فيه ، كالذي يأكل ولا يشبع . اليد

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي .
(٢) رواه مسلم والترمذي .
(٣) متفق عليه .
(٤) المزعة : القطعة من اللحم . أي يسقط لحم وجهه ، ولا يبقى إلا العظم . متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر .
(٥) كالبقول الخضر اليانعة والفاكهة الحلوة المذاق .
(٦) من غير حرص .
(٧) بطلبها وحرصها .

العليا خير من اليد السفلى[1] .

فقال حكيم : فقلت : يا رسول الله! والذي بعثك بالحق لا أرزأ[2] أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا .

فكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يدعو حكيماً إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه . ثم إن عمر ـ رضي الله عنه ـ دعاه ليعطيه ، فأبى أن يقبل منه شيئاً . فقال عمر : إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم ، إني أعرض عليه حقه من هذا الفيء[3] فيأبى أن يأخذه . فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي »[4] .

وقد أثنى الله ـ جل جلاله ـ على الفقراء المتعففين الذين يبيتون على الطوى ولا يعلم الناس بحالهم فقال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

وبين النبي ﷺ أن هؤلاء هم المساكين الذين يستحقون الصدقة والإحسان فقال : « ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة ولا اللقمتان . إنما المسكين الذي يتعفف . اقرؤوا إن شئتم : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ »[5] [البقرة: ٢٧٣].

---

(١) أي المعطي خير من الآخذ .
(٢) لا أنقص .
(٣) ما حصل عليه المسلمون من أموال الكفار من دون قتال .
(٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

**٣ـ تحقيق العدالة الاجتماعية وتقديم الطعام إلى كل جائع :**

فقد حققها الإسلام على أكمل وجه .

وبدأ بجعل الرجل مسؤولاً عن الإنفاق على أهله وأولاده وخدمه والذين تحت ولايته . ولا يحل له أن يستأثر بالطعام دونهم ، ولا أن يشبع ويتركهم جياعاً :

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته »[١] .

وفي رواية : « . . أن يضيع من يقوت »[٢] .

وقد أباح الله ـ تبارك وتعالى ـ للمسلمين ولا سيما أصحاب الأعذار أن يأكلوا من بيوت أهليهم وأقربائهم وأصحابهم فقال :

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٣] [النور : ٦١] .

ورغب النبي ﷺ في الإحسان إلى الأقارب ، وبين أن ذلك سبب لسعة

---

(١) رواه مسلم والنسائي .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) أي : مجتمعين أو متفرقين .

الرزق والزيادة في العمر فقال : « من سره أن يبسط له في رزقه ، وأن ينسأ له في أثره[1] فليصل رحمه [2]» .

كما رغب في الإحسان إلى الجيران ، ونفى الإيمان عمن يترك جاره يتضور جوعاً وعنده فضل طعام :

عن عائشة وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » [3] .

وحث الجيران على تقديم شيء من الطعام هدية لجيرانهم :

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال له : « إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك » [4] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ : « يا نساء المسلمات! لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرسِن[5] شاة » [6] .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به » [7] .

وأمر بإكرام الضيف ، وضيافته ثلاثة أيام ، والمبالغة في إكرامه في أول يوم وليلة :

عن أبي شريح الكعبي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من

---

(١) يؤخر له في عمره .
(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود ، عن أبي هريرة وأنس بن مالك .
(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي .
(٤) رواه مسلم .
(٥) الفِرسن : الظلف ، واحدة المقادم .
(٦) رواه البخاري .
(٧) رواه البزار والطبراني . وهو حديث حسن .

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه : جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما بعد ذلك فهو صدقة . ولا يحل له أن يثوي[1] عنده حتى يحرجه »[2].

وبذلك يتحقق الأمن الغذائي في الحل والترحال للمقيم والمسافر .

وفوق هذا لا يجوز لمسلم أن يرى غيره محروماً من الطعام وعنده فضل منه من دون أن يقدمه إليه ، ولا محتاجاً إلى وسيلة للركوب أو أي شيء ، وهو قادر على مساعدته ، ولا يقضي حاجته :

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : « بينما نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ جاء رجل على ناقة له ، فجعل يصرفها يميناً وشمالاً[3]. فقال رسول الله ﷺ : من كان عنده فضل ظَهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له . . حتى ظننا أنه لا حق لأحد منا في الفضل »[4].

وما فرضت زكاة المال ووجبت صدقة الفطر ، وما شرعت الأضحية والعقيقة ووجبت الكفارات[5] وفدية الإفطار في رمضان والإخلال بالإحرام للحج أو العمرة ، والوفاء بالنذور ، والوصية والوقف إلا للقضاء على الجوع وتحقيق الأمن الغذائي للناس . ولهذا شرعت الصدقات وأعمال البر والإحسان .

---

(١) يقيم .
(٢) رواه البخاري وأبو داود .
(٣) أي ليبحث عن الطعام ، أو ليراه الناس ويعلموا بحاجته.
(٤) رواه مسلم وأبو داود .
(٥) فكفارة اليمين إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم . وكفارة الظهار إطعام ستين مسكيناً من قبل أن يتماسا إذا لم يجد رقبة يعتقها ، ولم يستطع صيام شهرين متتابعين . وكذلك كفارة الإفطار في رمضان من دون عذر .

وقد أثنى الله ـ سبحانه وتعالى ـ على المتصدقين بالطعام والمنفقين أموالهم في سبيله ، ووعدهم بالأجر العظيم فقال :

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الدهر : ٨ـ٩] .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

وبين أنه يضاعف ثواب المتصدقين ويزيد حسناتهم فقال : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۗ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

ووعد المتصدقين بالتعويض عليهم والسعة في أرزاقهم :

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩] .

ولكن المؤمن لا يعد من الأبرار حتى ينفق من أطيب ماله وأحبه إليه . قال الله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

وبين النبي ﷺ أن الله ـ تبارك وتعالى ـ يقبل الصدقة إذا كانت من الحلال الطيب وأريد بها وجهه الكريم ، ولو كانت صغيرة ، وينميها حتى تصبح مثل الجبل فقال : « من تصدق بعَدل[1] تمرة من كسب طيب ـ ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ـ فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها

---

(١) أي بمثل .

كما يربي أحدكم فَلُوّه[1] ، حتى تكون مثل الجبل » [2].

وبين أيضاً أن الصدقة هي التي تنجي من عذاب النار :

عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اتقوا النار ولو بشِق[3] تمرة » [4].

وهي خير ما يأمر به هذا الدين .

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً سأل النبي ﷺ : أي الإسلام خير؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »[4] .

وبها تنال الدرجات العلى في الجنة :

عن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« يا أيها الناس! أفشوا السلام ، وصِلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصَلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » [5].

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام ، وصلى بالليل والناس نيام » [6].

ويدفع المؤمن إلى الإحسان وبذل الطعام حرصه على ثواب الله تبارك

---

(١) الفَلُوّ : المهر حين فطامه .
(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة .
(٣) نصف أو جانب .
(٤) متفق عليه .
(٥) رواه الترمذي وصححه .
(٦) رواه الترمذي بسند ضعيف .

وتعالى ، وعلمه أن الإيمان يقتضي مشاركة الآخرين في الفضل ، وأنه لا يصح حتى يساويهم بنفسه ويحب لهم ما يحبه لها :

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) .

والناس جميعاً كأسرة واحدة ، فمن كان أكثر نفعاً لهم كان أحب إلى الله عز وجل :

قال النبي ﷺ : « الخلق عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » (٢) .

والمؤمنون كلهم كجسد واحد ، يحب بعضهم بعضاً ، ويرحم بعضهم بعضاً ، ويعطف بعضهم على بعض . ولا يسعهم أن يتركوا بائساً أو جائعاً من دون أن يطعموه ويحسنوا إليه .

ولم يستجب الصحابة لهذه التعاليم وهم كارهون ، ولم يكونوا يطعمون الجائعين وهم في حال الشبع فحسب ، بل كان أحدهم يفضل الآخرين على نفسه ، ويقدم لهم ما يحتاج إليه ، حتى نزل ثناء الله عليهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ (٣) وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا (٤) وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (٥) وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده والبزار عن أنس، والطبراني عن ابن مسعود. وهو ضعيف الإسناد .

(٣) أي سكنوا دار الهجرة .

(٤) أي لا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين بما خصوا به من الفيء .

(٥) أي يقدمون المحاويج على أنفسهم ولو كانت بهم حاجة . والخصاصة : الفاقة .

وقد نزلت هذه الآية عندما أتى رجل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله! أصابني الجهد[١] فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال : ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار وهو أبو طلحة : ـ زيد بن سهل ـ فقال : أنا يا رسول الله . فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً[٢] فقالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم ، وتعالي فأطفئي السراج[٣] ونطوي بطوننا الليلة[٤] . ففعلت . ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ ، فقال : « لقد عجب الله عز وجل ـ أو ضحك ـ[٥] من فلان وفلانة »[٦] . فأنزل الله تعالى الآية .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن مسكيناً سألها وهي صائمة ، وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاة لها : أعطيه إياه . فقالت : ليس لك ما تفطرين عليه! فقالت : أعطيه إياه . قالت : ففعلت . قالت : فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يُهدى لنا : شاة وكفنها[٧] . فدعتني عائشة فقالت : كلي من هذا ، فهذا خير من قرصك[٨] .

---

(١) أي المشقة من الجوع .
(٢) أي أكرميه وقدمي له ما عندك .
(٣) لكيلا يرى مقدار الطعام ، وليظن بأنهما يأكلان معه فلا يستحيي من الأكل .
(٤) نبيت جياعاً .
(٥) أي رضي .
(٦) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة .
(٧) أي ملفوفة بالخبز ، وكان العرب أو بعض أشرافهم يأتون إلى الشاة أو الخروف إذا سلخوه غطوه كله بعجين البر وكفنوه به ، ثم علقوه في التنور ، فلا يخرج من ودكه شيء إلا في ذلك الكفن . ( الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٨/٢٦ ) .
(٨) الموطأ للإمام مالك .

وبمثل هذه الأخلاق الحميدة وهذه التربية الرفيعة يندفع الناس إلى الإحسان ، ويتم القضاء على الجوع .

**٤ـ منع كل ضروب الاستغلال وما يؤدي إلى حرمان بعض الناس من الحياة الكريمة ، والتضييق عليهم في معاشهم :**

**أ ) ومن ذلك تحريم الاحتكار :**

وهو حبس الأقوات وما يحتاج إليه الناس حاجة ضرورية حتى يرتفع سعرها . وقد حذر النبي ﷺ من الاحتكار ، وبين أنه إثم كبير فقال : « من احتكر فهو خاطىء » (١) .

وقال : « من احتكر حكرة يريد أن يغالي بها على المسلمين فهو خاطىء » (٢) .

وقال : « من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برىء من الله ، وبرىء منه » (٣) .

وقال : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » (٤) .

وقال ﷺ : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » (٥) .

ويجوز إجبار المحتكر على بيع ما يحتاج إليه الناس ، ومصادرة بضاعته وبيعها بالسعر المناسب إذا امتنع عن بيعها بنفسه .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن معمر رضي الله عنه .
(٢) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة .
(٣) أخرجه أحمد والحاكم بإسناد فيه مقال عن ابن عمر .
(٤) رواه ابن ماجه والحاكم بسند ضعيف عن عمر .
(٥) رواه ابن ماجه بإسناد حسن عن عمر رضي الله عنه .

ب ) ومنه التسعير :

وفي الأحوال العادية لا حاجة للتسعير ، لأن أسعار الأشياء تتحدد بالعرض والطلب ؛ فإذا زاد العرض انخفض السعر ، وإذا زاد الطلب ارتفع . والتسعير في هذه الحالة إما أن يكون ظلماً للمستهلكين إذا كان أعلى من السعر المناسب ، وإما أن يكون ظلماً للباعة والمنتجين إذا كان أدنى من السعر المناسب .

وهو حينئذ يؤدي إلى اختفاء البضاعة والامتناع عن إنتاجها وتسويقها ، مما يلحق الضرر الشديد بالناس ، ويحدث عكس النتائج المقصودة منه .

ولهذا امتنع النبي ﷺ عن التسعير حين طلب منه :

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : « قال الناس : يا رسول الله ، غلا السعر فسعر لنا فقال : إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال » [1] .

أما إذا كان هناك احتكار ، أو اتفاق بين الباعة على رفع السعر ، فيجوز التسعير لمراعاة مصالح عامة الناس [2] .

جـ ) ومنه تحريم الربا :

وهو الزيادة عند مقابلة مال ربوي بمثله . فإذا كانت الزيادة مع الأجل سمي ربا النسيئة ، وإذا كانت مع التقابض سمي ربا الفضل .

والدليل على تحريم ربا الفضل قول النبي ﷺ : « الذهب بالذهب

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي بسند صحيح .

(٢) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده/ د . فتحي الدريني ـ مؤسسة الرسالة : بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ . ، ص٢٣٩ .

والفضة بالفضة ، والبُر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ؛ مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد . فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » [1] .

فحين مبادلة أحد هذه الأنواع بمثله يشترط المساواة في الكيل أو الوزن ، والتقابض . ولا يجوز أن يباع مقدار من القمح الجيد مثلاً بأكثر منه من القمح الرديء ، ولا أن يتم قبض أحد البدلين في مجلس العقد ، ويؤجل تسليم الآخر إلى حين .

وقد وضع الإسلام هذه القيود على مبادلة الأموال الربوية بمثلها لكيلا يكثر بيعها وشراؤها فيرتفع سعرها ، ويقع الناس في الحرج لحاجتهم إليها . فإن كان عند واحد نوع من القمح ، وأراد الحصول على نوع آخر منه ، فهذا المطلب يعد من الترف ؛ فإما أن يرضى بما عنده ، ولا يطلب النوع الأكثر مناسبة لحاجته ، وإما أن يجد من يرضى مبادلته من دون زيادة أو نقصان في المقدار . وإما أن يبيع ما عنده بالنقود ، ويشتري بها ما يريد .

ولو أبيح بيع هذه الأموال بمثلها إلى أجل ، لأمكن شراء أنواع محددة منها وخزنها حتى تصبح غير متوفرة عند سائر الباعة ، ثم يحتكر بيعها ، ويرفع سعرها ، ويجني أرباحاً طائلة على حساب عامة الناس . ولمنع هذا الاحتيال والكسب غير المشروع اشترط التقابض في عقد الصرف والمساواة في البدلين حين يكونان من الذهب أو الفضة أو أي نوع من النقود المتداولة . فإذا اختلف البدلان فيصح البيع كيفما اتفق بشرط التقابض :

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عبادة بن الصامت .

وقد شدد الله ـ عز وجل ـ حرمة الربا ، وهدد المرابين بشن حرب عليهم وإتلاف أموالهم ، وبين سوء مصيرهم فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٥ـ٢٧٦] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨ـ٢٧٩] .

وبين النبي ﷺ إثم كل من يتعامل بالربا ويعين على إتمام عقده :

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه . وقال : هم سواء »[1] .

ولو أن المصارف قدمت قروضاً غير ربوية على أساس المشاركة في الربح لما أصبح المحرومون والفقراء في الدول المتخلفة مضطرين إلى دفع آلاف الملايين كل عام مقابل الفوائد الربوية . ولو منع الربا والاحتكار من الاقتصاد لتحقق العدل ، ولما اتسعت الفجوة بين الأغنياء والفقراء في العالم .

**د ) ومن القيود التي وضعها الإسلام على التجارة بالطعام النهي عن تلقي الركبان وعن بيع المقيم في المدن لواحد من أهل البادية :**

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « لا تلقوا الركبان ، ولا يبع حاضر لباد » .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

فقيل لابن عباس : ما قوله : « لا يبع حاضر لباد؟ »[1] قال : لا يكون له سِمساراً .

والركبان هم التجار الذين يجلبون البضائع من مصادرها في القرى والأرياف والمدن النائية ؛ فلا يجوز تلقيهم قبل وصولهم إلى السوق ، لشراء بضائعهم ثم بيعها بسعر أعلى ؛ فذلك يؤدي إلى الثراء على حساب عامة الناس . وإنما يجب تركهم يعرضون بضائعهم في الأسواق ليشتريها المستهلكون مباشرة بأدنى الأسعار :

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لا يبع بعضكم على بيع بعض ، ولا تلقوا السلع حتى يهبط بها إلى السوق »[2] .

والبادي هو القادم من البادية إلى المدينة أو القرية ، ومن الواجب تركه حتى يدخل السوق ويعرض ما معه من الألبان وغيرها من المنتجات الحيوانية ، ليشتريها منه المستهلك ، من دون أن يتولى أحد التجار البيع عنه بثمن أعلى ، لئلا يشق على الناس .

ويحتمل الحديث معنى آخر ، وهو ألا يبيع التاجر من أهل البلد أحداً من الآتين إليها من غير أهلها شيئاً من المواد القليلة التي يحتاج إليها المقيمون فيها حاجة ضرورية ؛ فذلك يحرمهم منها ، وهم أولى بها من الآخرين الذين بإمكانهم أن يجلبوها من مصادر إنتاجها[3] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٢) رواه البخاري .

(٣) نظرية التعسف في استعمال الحق/ د . فتحي الدريني ـ مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ . ص١٤٢ .

هـ ) ومنها النهي عن بيع الطعام قبل قبضه ونقله إلى مكان آخر :

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يقبضه » [١] .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ « أن رسول الله ﷺ نهى أن يبيع الرجل طعاماً حتى يستوفيه .

قلت[٢] لابن عباس : كيف ذاك؟

قال : ذاك دراهم بدراهم ، والطعام مرجأ »[٣] .

وعنه قال : « أما الذي نهى عنه النبي ﷺ فهو الطعام أن يباع حتى يقبض » [٤] .

وقال ابن عباس أيضاً : « ولا أحسب كل شيء إلا مثله » [٥] .

وعن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال : « نهى رسول الله ﷺ أن تباع السلعة حيث تباع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم » [٦] .

والحكمة من ذلك أن الله ـ عز وجل ـ أحل البيع لما فيه من تحقيق مصلحة المشتري بالحصول على ما يحتاج إليه ، ومصلحة البائع ببيع ما يفيض عن حاجته ؛ فإذا اشترى التاجر بضاعته ونقلها إلى مكان آخر فإنه يسهّل على من فيه شراءها دون الذهاب إلى مكانها الأول والقيام بنقلها ، فيكون ربحه مقابل جهده وانتظاره المشترين حتى يشتروا تلك البضاعة .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .
(٢) رواه البخاري وأحمد . والقائل هو طاووس الذي روى الحديث عن ابن عباس .
(٣) أي مؤخر .
(٤) رواه البخاري .
(٥) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد .
(٦) أخرجه أبو داود ، وصححه ابن حبان .

أما إذا اشتراها ثم باعها لتاجر آخر قبل أن يقوم بقبضها ونقلها فإنه يربح من دون مقابل ، ولعل التاجر الثاني يبيعها أيضاً وهي في مكانها ؛ فيؤدي ذلك إلى ارتفاع الأسعار والتضييق على الناس :

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : « كانوا يبتاعون الطعام في أعلى السوق ، فيبيعونه في مكانه ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يبيعوه في مكانه حتى ينقلوه »[1] .

وكذلك نهي التاجر عن بيع ما ليس عنده ، بأن يأتي الرجل فيطلب منه شراء شيء معين ، وهو ليس عنده ، فيبيعه منه ، ثم يشتريه له من السوق :

عن حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ قال : « نهاني رسول الله ﷺ عن بيع ما ليس عندي »[2] .

فالأولى أن يدل التاجر المشتري على المحل الذي يوجد فيه الشيء الذي يريده ، لا أن يبيعه قبل أن يشتريه ويكسب ربحاً عليه .

وبهذه الوسائل يمكن توفير الطعام وتحقيق الأمن الغذائي للناس كافة .

* * *

(١) رواه البخاري .
(٢) أخرجه أصحاب السنن .

obeikandl.com

# الفصل الرابع

## نماذج من التكافل حين المجاعة

وإذا وقعت مجاعة على الرغم من العمل بالوسائل المتقدمة لدرئها بسبب القحط الشديد أو العدوان والحصار ، فلا يجوز أن يترك أحد جائعاً وعند غيره طعام يزيد على حاجته .

وخير مثال على التكافل والتعاون لدفع الجوع ما كان في عهد النبي ﷺ وأصحابه ، إذ عاشوا سنوات من الشدة وشظف العيش وضيق الحال ، بسبب خروج المهاجرين من ديارهم ، وانشغال الجميع بالجهاد في سبيل الله عن التجارة والزراعة والكسب ؛ فكان الفقير يصبر ويتعفف ما استطاع ، وكان الموسر لا يدخر شيئاً دون أن يقدمه إلى المعسر . وإليك بعض الوقائع على ذلك :

١ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال أبو طلحة لأم سُلَيم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء؟ قالت : نعم . فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخرجت خماراً لها ، فلفت الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت يدي ، ولاثتني ببعضه[1] . ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ .

---

(١) أي لفت الخبز ببعض خمارها ، ووضعته تحت إبطه ، ولفته ببقية الخمار تستراً عليه . والخمار : غطاء الرأس . وأنس هو ابن أم سُليم ، وأبو طلحة زوجها .

فذهبت فوجدته في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة؟ فقلت : نعم . قال : بطعام؟ فقلت : نعم . فقال رسول الله ﷺ لمن معه : قوموا .

فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته . فقال أبو طلحة : يا أم سُليم! قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت : الله ورسوله أعلم .

فانطلق أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فجاء معه ، فقال رسول الله ﷺ ، هلمي يا أم سليم ما عندك . فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ففت ، وعصرت أم سليم عُكة فأدمته[1] . ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء أن يقول ، ثم قال : ائذن لعشرة . فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : ائذن لعشرة . فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : ائذن لعشرة . فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً[2] .

٢ـ ولما جاء الأحزاب لحرب المسلمين اشتد الضيق والجوع عليهم : قال جابر رضي الله عنه : « إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كيدة[3] شديدة ، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كدية[4] عرضت في الخندق . فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر . ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيباً أهيل[5] .

---

(١) العكة : وعاء من جلد يوضع فيه السمن أو العسل ، أدمته : مزجته بالإدام .
(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأحمد .
(٣) الكيدة : القطعة الشديدة الصلبة في الأرض . وفي رواية : كدية .
(٤) الكدية : القطعة الصلبة الصماء .
(٥) أي رملاً يسيل ولا يتماسك .

فقلت : يا رسول الله! ائذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر ، فعندك شيء؟

فقالت : عندي شعير وعَنَاق[١] . فذبحت العناق ، وطحنتِ الشعير ، حتى جعلنا اللحم بالبرمة[٢] .

ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر[٣] ، والبرمة بين الأثافي[٤] ، قد كادت أن تنضج ، فقلت : طعيم لي ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال : كم هو؟ فذكرت له . فقال : كثير طيب . قال : قل لها : لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي . فقال : قوموا . فقام المهاجرون والأنصار .

فلما دخل على امرأته قال : ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك؟ قلت : نعم .

فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ، ويخمر[٥] البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع . فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية . قال : كلي هذا وأهدي ، فإن الناس أصابتهم مجاعة »[٦] .

٣ـ واستمر الضيق والجوع سنين بعد ذلك :

---

(١) كان الشعير صاعاً نحو ٢كغ ، والعناق هي الأنثى من ولد المعز .
(٢) البرمة : القِدر : إناء الطبخ .
(٣) أي اختمر .
(٤) الأثافي : الحجارة التي توضع عليها القدر لتوقد تحتها النار .
(٥) ويغطي .
(٦) رواه البخاري ومسلم والدارمي .

حدّث مجاهد أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ كان يقول : اللهِ[1] الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض[2] من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع[3] . ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني ، فمر ولم يفعل . ثم مر بي عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني ، فمر ولم يفعل .

ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ، ثم قال : يا أبا هر! قلت : لبيك يا رسول الله! قال : الحق ، ومضى فتبعته ، فدخل فاستأذن ، فأذن لي ، فدخل فوجد لبناً في قدح فقال : من أين هذا اللبن؟ قالوا : أهداه لك فلان ـ أو فلانة ـ قال : أبا هر! قلت : لبيك يا رسول الله! قال : الحق إلى أهل الصُّفة فادعهم لي .

قال : وأهل الصُّفة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها . فساءني ذلك ، فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شَربة أتقوى بها ، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُد .

فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت .

قال : يا أبا هر! قلت : لبيك يا رسول الله! .

---

(١) أي والله .

(٢) أي ألصق بطني بالأرض ، وأسقط مغشياً عليّ .

(٣) فائدة شد الحجر المساعدة على الاعتدال والانتصاب .

قال : خذ فأعطهم . فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل ، فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، فأعطيه الرجل ، فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح . . حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده ، فنظر إلي فتبسم فقال : يا أبا هر! قلت : لبيك يا رسول الله! قال : بقيت أنا وأنت . قلت : صدقت يا رسول الله! قال : اقعد فاشرب . فقعدت فشربت . فقال : اشرب ، فشربت . فما زال يقول : اشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً . قال : فأرني . فأعطيته القدح ، فحمد الله وسمى وشرب الفَضلة [1] .

٤ـ وفي غزوة تبوك نفد زاد بعض الصحابة حتى هموا بنحر إبلهم . ولكن رسول الله ﷺ أمر بجمع ما بقي معهم من الطعام ، ووزعه عليهم بالسوية :

عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ قالا :

« لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة . قالوا : يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا[2] فأكلنا وادّهنا[3] . فقال : افعلوا .

فجاء عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال : يا رسول الله! إن فعلت قلَّ الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة ، لعل الله يجعل في ذلك ـ أي بركة وخيراً ـ فقال رسول الله ﷺ : نعم .

فدعا بنِطع[4] فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء

---

(١) رواه البخاري والنسائي والترمذي والحاكم وأبو نعيم والبيهقي .
(٢) النواضح من الإبل : التي تحمل الماء ، والمراد هنا كل بعير .
(٣) الادهان : طلي الجسم بالدهن .
(٤) بساط من جلد .

بكف ذرة ، ويجيء الآخر بكف تمر ، ويجيء الآخر بكسرة ؛ حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير .

قال : فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة ، ثم قال : خذوا في أوعيتكم . قال : فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه .

قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة »[1] .

٥ـ وفي عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أصابت الناس مجاعة بالمدينة وما حولها ، آخر سنة ١٧هـ ، وأول سنة ١٨هـ ، بسبب انحباس غيث السماء ، وشملت المجاعة الحيوانات ، حتى أصبح الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها ، وحتى أصبحت الوحوش تأوي إلى الإنس ، وسمي ذلك العام عام الرمادة .

فحلف عمر أن لا يذوق سمناً ولا لحماً حتى ينزل الغيث وينبت الزرع والعشب ، ويجد الناس الغذاء ، وقال : كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم[2] .

قال عكرمة بن خالد : « وأصاب الناس سَنة ، فما أكل عامئذ سمناً ولا سميناً »[3] .

واعتلت صحته لاقتصاره على الزيت في طعامه وأصبحت حياته في

---

(١) رواه مسلم وأحمد .

(٢) تاريخ الطبري ـ دار القلم : بيروت ، جـ٤ ص٢٢٣ـ٢٢٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة بمصر ط١ ، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م . ص١٢٨ ـ ١٢٩ .

خطر ؛ وأصبح المسلمون يخشون عليه الهلاك وكلموه ليتناول بعض اللحم والدسم فأبى عليهم .

قال ابن مليكة : كلم عتبة بن فرقد عمر في طعامه فقال : « ويحك آكل طيباتي في حياتي الدنيا وأستمتع بها »[1] .

ويعني بذلك قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف : ٢٠] .

ولم يكتفِ بحرمان نفسه من الطيبات حتى حرمها على أهل بيته ؛ لأنه يخاف أن يسأل يوم الحساب : كيف أكلتم اللحم وشبعتم والناس جياع؟ .

قال الحسن : دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً فقال : ما هذا؟ قال : قرِمنا إليه[2] .

قال : أوَ كلما قرمت إلى شيء أكلته؟ كفى بالمرء سَرَفاً أن يأكل كل ما اشتهى[3] .

ثم كتب إلى أمراء الأمصار : أغيثوا أهل المدينة ومن حولها ، فإنه قد بلغ جهدهم . وأخرج الناس إلى الاستسقاء ؛ فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران ، أي نزل الغيث غزيراً ، وامتلأت البرك والغدران بالماء قبل رجوعهم إلى بيوتهم .

ولما نبت العشب ، وأكلت المواشي وولدت ودرت باللبن قدمت

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ؛ ص١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٢) أي اشتهيناه كثيراً .
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ؛ ص١٢٨ ـ ١٢٩ .

السوق عكة من سمن ووطْب[1] من لبن ، فاشتراها غلام لعمر ، وأتى بهما إليه ، وقال : يا أمير المؤمنين! قد أبر الله يمينك وعظم أجرك ، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن فابتعتهما لك . فسأله : بكم اشتراها؟ فقال : بأربعين . فقال عمر : أغليت بهما ، فتصدق بهما ؛ فإني أكره أن آكل إسرافاً .

وكان أبو عبيدة أول من قدم عليه في أربعة آلاف راحلة من طعام ، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة . فلما فرغ ورجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم . فقال : لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين ، إنما أردت الله وما قِبَلَه ، فلا تدخل عليَّ الدنيا .

فقال : خذها فلا بأس بذلك إذ لم تطلبها ، فأبى .

فقال : خذها فإني قد وليت لرسول الله ﷺ مثل هذا ، فقال لي مثل ما قلت لك ، فقلت له كما قلت لي ، فأعطاني .

فقبل أبو عبيدة وانصرف إلى عمله[2] .

ثم تتابع وصول الطعام وتوزيعه على الجياع حتى استغنى أهل الحجاز ، ووجد كل فرد كفايته .

وبهذا يتم مكافحة الجوع ، ويتحقق التكافل الاجتماعي .

ولقد بقي الناس في ظل الإسلام في رغد العيش طوال العصور السابقة حتى أصيبوا بهذه الكارثة في العصر الحديث ، ولا خلاص لهم إلا بالرجوع إلى الدين والعمل بأحكامه .

* * *

---

(١) الوَطْب : سقاء للبن مصنوع من جلد .

(٢) تايخ الطبري ـ دار القلم : بيروت ، جـ٤ ص٢٢٣ـ٢٢٤ .